ديفيد هير
اللحظـــــة الحرجـــــــة

ترجمة وتقديم:
د. عوض حامد الكيلانى
كلية الآداب - جامعة طنطا

المقـــــــدمة

يعد ديفيد هير واحدا من أبرز الكتاب المسرحيين البريطانيين اليوم، فضلا عن كونه كاتب سيناريوهات، ومنتج أفلام ومسرحيات. وقد ولد هير فى الخامس من يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة وأربعون بسانت ليوناردز شرق ساكس بالمملكة المتحدة، وكان والداه من الطبقة المتوسطة، وقد ألحقاه بمدرسة لانسنج التى يقول ديفيد هير أنه قضى وقتا ممتعاً بها، وأنها أثرت فيه كثيراً نظراً لأنها مدرسة ليبرالية يغلب عليها الطابع الفني.

وبعد أن أنهى دراسته بلانسنج التحق ديفيد هير بجامعة كامبريدج ودرس اللغة الإنجليزية إلا أنه لم يبدأ الكتابة حتى بلغ من العمر اثنين وعشرون عاماً أى بعد التحاقه بالجامعة، ورفض هير أن يتبع أسلوب كامبريدج فى الكتابة ومن يكتبون بهِ لأنهم يكتبون عما يرغبه الناس، وليس ما يشعرون به بالفعل.

عمل هير مع فرقة المسرح المتنقل من عام 1968م إلى عام1971م. ويرى هير أن السبب الرئيسي وراء نجاح كُتاب المسرح المتنقل هو أنهم كانوا جميعاً يشتركون فى إعتقاد واحد مفاده: أنهم كانوا يعيشون فترة من التدهور الشديد على المستويين الإجتماعي والمسرحي وكانوا يجسدون هذا الإعتقاد فى مسرحياتهم، ولذا نظر البعض إلى هذا النوع من المسرح بوصفه مسرح تشاؤمي. وجدير بالذ كر أن هير قد وضع أسس أسلوبه المسرحي وكذلك حدد مجال اهتماماته أثناء فترة عمله مع فرقة المسرح المتنقل.

وكانت مسرحية "الخبث" أول مسرحية تم عرضها له فى عام 1970م، وهى نفس السنة التى تزوج فيها من زوجته الأولى مارجريت ماثيسون (Margaret Matheson)والتى أنجب منها ثلاثة أطفال قبل إنفصالهما فى عام 1980م. وتعد مسرحية "الخبث" نقداً لاذعاً للحركة النسوية الراديكالية وعالم الغلبة فيه للرجال، فالشخصيات الوحيدة فيها هن ثلاث مدرسات يقمن بالتدريس فى مدرسة بنات صغيرة ومنعزلة، وتبدأ أحداث المسرحية بإعلان المدرسات الثلاث الإمتناع عن الجماع الجنسي وذلك إحتجاجاً على سيطرة الرجال على النساء ومعاملتهم السيئة لهن، والتى تتجسد فى إهانة النساء بوصفهن خبيثات. وتصبح الصراعات بين رؤى المدرسات المختلفة عن الحركة النسائية الراديكالية والتفسيرات المختلفة للعهد الذى أخذوهن على أنفسهن والإلتزام به وقوداً للأفعال البذيئه بينهن كما أنها تصرف إنتباههن عن التدريس، وتسخر المسرحية من الحركة النسائية وسيطرة الرجال على حد سواء ويتضاءل عدد التلميذات حتى لا يتبقى منهن واحدة وتنصرف المدرسات كلٌ منهن فى طريق منفصل.

وقد أصبح ديفيد هير كاتباً مسرحياً مقيماً فى مسرح الرويل كورت فى الفترة ما بين عام 1970م وعام 1971م. وفى عام 1973م أصبح كاتباً مسرحياً مقيماً فى مسرح نوتنجهام، وفى عام 1975م أسس فرقة المساهمة المسرحية بالإشتراك مع ديفيد أوكن(David Aukin)ومكس استافورد كلارك (Max Stafford-Clark) ، وفى عام 1978م تم عرض مسرحية "الكثرة"

على المسرح القومي وتلتها مسرحية "خريطة العالم" فى عام 1983م ثم مسرحية "الحقيقة" عام 1985م والتى كتبها بالإشتراك مع هاورد برنتون(Howard Brenton) .

وأصبح هير المدير المساعد للمسرح القومى فى عام 1984م، ومنذ ذلك الحين تم عرض العديد من مسرحياته مثل ثلاثيته عن المؤسسات البريطانية الكبرى: "سباق الشيطان" ،"وتذمر القضاة"، "وغياب الحرب". وقد قام هير بإخراج مسرحيات أخرى عديدة بالإضافة إلى أعماله مثل "مبدأ اللذة" التى كتبها سنو ويلسون(Snoo Wilson) و"أسلحة السعادة" التى كتبها هاورد برنتون و"الملك لير" التى كتبها وليام شكسبير للمسرح القومي. كما قام هير أيضاً بتأليف مجموعة من المحاضرات عن الفنون والسياسة تحت عنوان "الطاعة والنضال والثروة." وأسس هير شركة أفلام تحت إسم (جرين بوينت) عام 1982م. كما كتب سيناريوهات مثل "الكثرة" و"الحمالة" و"باريس ليلا". ففى الكثرة تعمل البطلة، سوزان تراهيرن، عميلة سرية بفرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية، وهى تبحث عن الشعور بالمشاركة والزمالة، ولكن تنهار مُثلها العليا فى عملية السلام التى تلي ذلك. وتزج بها هذه الحقيقة الى حافة الجنون. وبالرغم من أن هذه المسرحية تشمل عددا كبيرا من القضايا مثل التجارة والفن والأسرة والمخدرات والعالم الثالث والفقر الروحي الذى هو على النقيض تماما من البذخ المادي والسياسة الخارجية البريطانية وقناة السويس وماتلاها، فان التزام هير بنقد الأمة البريطانية شيء واضح فى المسرحية. ان هير فى هذه المسرحية لا يهتم فقط بالأخلاق العامة ولكنه يهتم أيضا بالطريقة التى يشكل بها الماضي الحاضر. وسوزان تراهيرن هى واحدة من أغمض الشخصيات التي رسمها هير. فمن ناحية يصورها هير بوصفها مثالية ترفض نفاق المجتمع

و مقاومته للتغيير، ومن الناحية الأخرى فإنه يصورها على أنها تفقد قواها العقلية نظرا لأنها الانسانة الوحيدة العاقلة فى مجتمع مجنون. وفى فيلم "الحمالة" يصور هير طبيبة أمريكية مغتربة تعيش فى لندن تدخل البهجة على نفسها عندما يدخل حياتها أختها الصغيرة الطليقة و رجل غامض، و عندما تنفس الطبيبة الجميلة عن كبتها تتعلم أن للحرية ثمنها. ويصور سيناريو "باريس ليلا" سياسيا بريطانيا يقضي بعض الوقت فى باريس و لكنه يتورط فى جريمة قتل.

وهير مشهور عموماً بتعليقاته الحادة على مشكلات المؤسسات العامة. ففى ثلاثيته "سباق الشيطان" (1990م) و"تذمر القضاة" (1991م) و"غياب الحرب" (1993م) يتناول هير بالدراسة والتحليل مواطن القوى والضعف فى ثلاث مؤسسات بريطانيه: الكنيسة الإنجليكانية، والنظام القضائي وحزب العمال على التوالي. ففى مسرحية "سباق الشيطان" يركز على كنيسة إنجلترا حيث تعالج المسرحية مشاكل مثل تنصيب المثليين ككهنة والدور الذى يلعبه التبشير بالإنجيل فى المجتمعات داخل المدن.

وفى مسرحية "تذمر القضاة" يشن هير هجوماً لاذعاً على نظام العدالة البريطاني فالمسرحية تلقى نظرة ذات ثلاثة مستويات على مثال واحد فى نظام العدل البريطاني: محاكمة وإتهام وإستئناف لشريك فى جريمة مشكوك فيها وهو متهم بالسرقة والإختطاف. ويتم دراسة القضية من وجهة نظر البوليس والمحامين والقضاة كما يتم دراستها أيضاً من خلال وجهة نظر منظومة السجن. وفى كل مستوى من هذه المستويات يكون التركيز على مظالم وتبلد مشاعر النظام الحالي، وتركز المسرحية أيضاً على المشاكل التى كان يواجهها النظام فى آواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات مثل التزايد فى الهجرة وارتفاع نسبة الشعور بالإرهاب. والمسرحية ليست كلها كئيبة حيث أنها تشير إلى إمكانية التغيير من خلال مهنيين أصغر سناً فى كل من قوات الشرطة ومهنة القضاء. ومع ذلك فإن رسالة المسرحية بصفة عامة لاتبعث على التفاؤل حيث يظل رجلٌ برئ فى السجن يدمر حياته اليأس والاعتداء الجنسي وهذا التشاؤم يتم

تخفيفه من خلال الإنطباع الأخير للمسرحية حيث تشرع إمرأتان، تعمل واحدة منهما كمحامية والأخرى كضابط بوليس، في تفجير ثورة داخل النظام.

ويبنى ديفيد هير مسرحيته "غياب الحرب" على ملاحظاته من خلف الكواليس لقيادة حزب العمال أثناء حملة أعضائه الإنتخابية العامة والفاشلة عام 1992م. ففى المسرحية نجد الشخصية المحورية، جورج جونز، رئيس حزب العمال، مخنوقاً ومحاصراً من قِبل مستشاريه السياسيين وفى النهايه لا يرى الجمهور أحداً من المواهب العظيمة التى وضعته فى مكان الصدارة.

وينتمى هير إلى جيل كتاب ما بعد الحرب العالمية الثانية، فهو ينتمي بالتحديد إلى الموجه الثانية من المسرح البريطانى فى فترة مابعد الحرب جنبا إلى جنب مع كل من إدوارد بوند (Edward Bond) وهاورد برنتون (Howard Brenton) وديفيد إدجر (David Edgar) وجون بيتر ميج راث (John Peter McGrath) و تريفر جريفيث(Trevor Griffiths) . وعندما بدأ هير رحلة الكتابة المسرحية فى عام 1968م، وهى السنة التى ُفقِد فيها الأمل فى قيام ثورة اشتراكية، كان هير هو حامل راية أيديولوجيات جيل الشباب من الكتاب المسرحيين الذين أدت الأحداث التى شهدها العصر الى تسييسهم. ومثل معظم الكتاب المسرحيين من أبناء جيله، يهتم هير فى مسرحياته بالتدهور الذي حل بالمجتمع البريطاني فى فترة ما بعد الحرب. ومع ذلك فهو يختلف عن أبناء جيله فى نقطة هامة: آلا وهى أنه لا أحد منهم، كما يلاحظ جون بُل John Bull، قد قام بتأريخ ذلك التدهور بثبات وترو كما فعل هير (60)، ولهذا السبب تم وصفه بأنه كاتب مسرحي يجرى "أشعة إكس على روح المجتمع البريطاني" (Donesky 2) وبأنه "جراح يجرى عمليات جراحية للأمة" (Gusso 1) وجدير بالذكر أن النقاد الذين قاموا بنقد أعمال هير قد انقسموا إلى فريقين فريق أثنى على أعماله وفريق آخر لم يوافق عليها ولكن الفريقان لم يرفضا دراسته للبيئة الاجتماعية والسياسية التى يعيش فيها. فى الواقع نجد أنه لا يمكن الفصل بين الحياة العامة والحياة الخاصة فى مسرحياته، فهو أسير الفكرة القائلة بأن الناس يعيشون حياتهم معاً، فالفرد، بالنسبة له جزء لا يتجزأ من الحياة الإجتماعية والسياسية (111 Reinelt) فهو يقوم بتسليط عينيه على ظروف بريطانيا وهذا ما جعله ينجح فى أن يظل ناقداً للمجتمع وسوطا مسلطا على النفاق.

وكان هير يركز على نقد السياسات منذ أن بدأ رحلة التأليف، ويتضح هذا فى أعماله، ففي مسرحية "العرض الكبير" يصور هير الانحرافات التى تحدث بين الساسة من أعضاء حزب العمال، كما تعد مسرحيته "براسنيك" - التى ينتقد فيها هير الجشع والفساد الرأسمالي نقداً لاذعاً - دراسة هامة للحياة السياسية فى الأقاليم، وفى مسرحيته "الكثرة" ينتقد هير بشدة الأكاذيب التى أحاطت بأزمة قناة السويس عام 1956م. وفى مسرحية "الحقيقة" التى تم عرضها لأول مرة على خشبة المسرح القومي بلندن فى الثاني من يناير عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين، يستخدم هير بالاشتراك مع هاورد برنتون أسلوب الهجاء لدراسة دور الصحافة فى المجتمع. وفى "خريطة العالم" تدور أحداث المسرحية حول وجهات النظر المتصارعة. فهناك صراع بين الرجعيين واليساريين بخصوص العلاقات السياسية بين البلاد وهناك صراع بين الصحفيين والكتاب الروائيين فى نظرتهم للأحداث وكذلك صراع فى كيفية نظر الغرب والشرق لبعضهم البعض. أما مسرحية "نشوة الطرب السرى" فهى دراسة لتأثير سياسات تاتشر على العلاقات الشخصية داخل أسرة وزير صغير بالحكومة. وفى مسرحية "الطريق الدائم" (2004م) ينتقد خصخصة السكك الحديدية. وحديثاً قد وجه هير مشرطه إلى الأمة الأمريكية، ففي مسرحية "هذه

أمور تحدث" ينتقد هير الغزو الأنجلو-أمريكي للعراق، حيث يوجه فيها انتقاداً لاذعاً للإدارة الأمريكية فى ظل رئاسة جورج بوش الابن نظراً لتناقض أفعال هذه الإدارة مع أقوالها ، ونخص بالذكر هنا مسرحية "هذه أمور تحدث" لما لها من علاقة وثيقة بمسرحية "اللحظة الحرجة".

لقد كان غزو العراق فى عام 2003م ومازال مصدر جدل، فقد أيد البعض الغزو بينما نظر إليه البعض الآخر على أنه انتهاك للأعراف السياسية والأخلاقية. لقد كان الغزو مثيراً جداً للجدل لدرجة أن الناس من كل صوب وحدب لم يجمعوا فى الرأي بخصوصه فقد أيده البعض وقد شجبه البعض الآخر. لقد كان الساسة والصحفيون ورجال الدين والفلمانيون مشغولين بما إذا كان من حق دولة ذات سيادة التدخل فى شئون دولة أخرى، ولم يكن الأدباء بمنأى عن ذلك، فهم من أكثر الناس حساسية بالنسبة للقضايا الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والدينية السائدة فى عصورهم، وكان أحد هؤلاء الأدباء هو هير الذى كتب مسرحيتين عن الحرب، فكتب أولاً مسرحية "هذه أمور تحدث"، تلك المسرحية التى ينسج فيها الحقيقة والخيال فى محاولة لمعرفة سبب حرب العراق، موضحاً كيف أن الحرب قامت على أساس ادعاء غير مؤكد؛ وهو أن هناك حلقة وصل بين صدام حسين والقاعدة، وترجع أهمية هذه المسرحية إلى أنها مسرحية تدور أحداثها حول التاريخ الحديث الذى نهتم به جميعاً، وفى تلك المسرحية يستخدم ديفيد هير تقنية البناء الدائري كما يستخدم نظرية بختين فى تعدد الأصوات فى العمل الأدبي ليكشف الستار عن رياء الإدارة الأمريكية التى تقول شيئاً وتفعل نقيضه وليتجنب الوقوع في مصيدة التحيز.

أما مسرحية "اللحظة الحرجة" فتعالج العلاقة بين الشخصيات ذوات وجهات النظر المتعارضة عن غزو العراق ، كما أنها تكشف التوتر النفسى الذى يحدث بين الحياة العامة والخاصة، وفى هذا الصدد يكتب مايكل بلنجتون Michael Billington أن مسرحية "اللحظة الحرجة" هى مسرحية عن إلتقاء الحياة الشخصية بالحياة العامة، فالفكرة الجوهرية التي تدور حولها المسرحية هي أنه لايمكن فصل الأحداث العامة عن الحياة الخاصة، كما أن الهروب من الحقيقة خطيئة"

(Hare Hits Manhattan 1).

كما يلاحظ – بول تيلر Paul Taylor فى تقيمه لمسرحية "اللحظة الحرجة" "أنه من الخداع والخطأ افتراض أنك يمكنك أن تنحي الآلام الشخصية جانبا، ومن الخطأ بنفس الدرجة أن تنظر للعالم الخارجى بوصفه إسقاطا للعواطف الشخصية، فكيف تربط بين ما هو داخلي وما هو خارجي" (3). وعندما سُئل ديفيد هير عما يامل أن يفهمه الناس عند مشاهدتهم للمسرحية رد قائلاً:

> إن موضوع المسرحية يدور حول كيفية ربط حياتنا الخاصة بما يحدث فى العالم من حولنا. فلقد كان هناك حدثان مهمان فى العالم الغربى وقد وقع الحدثان فى تعاقب سريع جداً، أعنى، برجا مركز التجارة الدولية، وما تلاهما من غزو للعراق، فالأحداث التاريخية فى الغرب والشرق الأوسط ليست أكبر من هذا. (The Royal Court Theatre13)

فالمسرحية-إذن- تدور حول تأثير ما يحدث فى العالم بصفة عامة على حياتنا اليومية وكيفية استيعاب الناس للطريقة التى يتغير بها العالم من وجهة نظرهم ووفقا لتوجهاتهم وتأثير ذلك على حياتهم العاطفية، فليس هناك موضوع أهم من هذا.

وينظر ديفيد هير إلي مسرحية "اللحظة الحرجة" بوصفها عمل فنى مصاحب لمسرحيته "هذه أمور تحدث"، والتى تدور أحداثها حول حرب العراق، ولكن على نطاق شخصى، ففى المحادثات التى تدور بين مراسلة كانت تكتب عن الحرب ووالد صديقها، يعتقد هير أنه يعرض موضوع المسؤولية القومية عن الحرب بشكل يعادل مسرحيته الملحمية التى تصور الجنود والساسة وهم يستعدون للحرب، ومع أن مسرحية "اللحظة الحرجة" تتناغم مع التحرر من الوهم بخصوص الحرب، فإنها تعرض تصحيحاً هاماً للعسكرية المتحمسة، وفى إحدى المراحل تقول نادية التى كانت تؤيد الحرب منذ البداية لأوليفر:

إذا كنت مهتما، فإنني واضحة تماماً بشأن تأييدي لها، كما أنى واضحة أيضاً بشأن ما حدث من أخطاء، ولا أظن أن الفوضي التى تلت تبطل القرار الأصلى، فلقد كنت أؤيد دائماً ومازلت التدخل الإنساني فى بلدان تحدث فيها أشياء بشعة. إنى أؤمن بهذا من كل قلبى، فلو كان الاختيار بين التدخل أو الامتناع، والاكتفاء بمشاهدة الدكتاتوريين وهم يمزقون شعوبهم، فإنى إذاً أؤيد التدخل، فأنا كنت مراسلة قبل أن أكون أكاديمية، لقد كنت فى هذه الأماكن، لقد رأيت المعاناة – على الأرض، وكنت موجودة فى مواقف لم يفعل فيها الغرب شيئاً ورأيت نتائج لا مبالاتنا، ولذا فإنك لو أردتني أن أقضي مسائي هذا فى الدفاع عن حق البلدان الغربية فى استعراض عضلاتهم لتحرير العرب من القتل الممنهج، صدقنى، إنى مستعدة لذلك.(52)

مما يجعل أوليفر لوكس - بوصفه طبيب إنجليزي والذى كان ضد الحرب على العراق بشدة - يرد على نادية بلاى، "دعينا نقول أنني كنت أعلم من سيكون الجراح، وكان لدى تصور معقول عن كيفية شكل العملية مستقبلا"(52) .

هناك علاقة وثيقة إذاً بين مسرحيتي "اللحظة الحرجة" و"هذه أمور تحدث" التى تم عرضها على المسرح القومي عام 2004م، ولكنها تختلف فى الشكل والمستوى حيث نجد مسرحية "هذه أمور تحدث" مسرحية ملحمية على مستوى عال تصور الاستعداد للهجوم على العراق من خلال إعادة الصياغة الحرفية للخطابات الحقيقية واللقاءات والمؤتمرات الصحفية كما أنها تصور نسخاً خيالية من اللقاءات السرية بين أعضاء الحكومتين الأمريكية والبريطانية وغيرهم من الشخصيات الدولية. وبالرغم من الصلة الوثيقة بين مسرحية "اللحظة الحرجة" ومسرحية " هذه أمور تحدث" ، فإن مسرحية "اللحظة الحرجة" تأخذ أساساً شكل قصة غرامية وهى مسرحية تأملية من حيث الأسلوب.

وعندما سُئل ديفيد هير عما يقصده بعنوان المسرحية أجاب قائلا:

أنه يشيرإلي تلك اللحظة التى تكون فيها قادراً على معرفة حقيقة نفسك، وهى عبارة يستخدمها العسكريون ويعنون بها تلك اللحظة التى يمكنك التدخل فيها لمساعدة شخص ما من الناحية الطبية وهم يطلقون عليها اللحظة الحرجة أى اللحظة التى يكون التدخل فيها ذات أهمية قصوي من الناحية الطبية.
(The Royal Court Theatre 13)

لقد بدأت العروض المسبقه لمسرحية "اللحظة الحرجة" فى السادس من نوفمبر عام ألفين وستة على مسرح صندوق الموسيقى بنيويورك، وأخرجها سام منديز، ولعب دور البطولة فيها الممثلة الأمريكية جوليان مور Julianne Moore والممثل البريطاني بيل ناى Bill Nighy،

وبالرغم من أن هذا كان هو العرض العاشر لمسرحية لديفيد هير على خشبة إحدى المسارح فى برودواى إلا أن مسرحية "اللحظة الحرجة" كانت أول مسرحية يتم عرضها للمرة الأولى هناك كما أنها كانت المسرحية الجديدة الوحيدة التى تم عرضها فى فصل الخريف.

وعندما تم افتتاح المسرحية رسمياً فى الثلاثين من نوفمبر، كانت ردود أفعال النقاد الأمريكيين متفاوته، فبينما أشاد الجميع بأداء بيل ناى ، كانت ردود الأفعال بالنسبة لأداء جوليان مور ملتبسة، فقد أشار بن برانتلى Ben Brantely فى صحيفة "النيويورك تايمز" بأن الكثير مما تحتويه مسرحية "اللحظة الحرجة" يعد ردة عتيقة إلى مسرحيات الألغاز النفسية التى تم كتابتها فى الخمسينيات" (2)، ووصفت مجلة "التنوع" المسرحية بأنها مسرحية مشوشة وغير محسومة(1) . ومن الناحية الأخرى نجد جريدة "النيويورك بوست" تثني عليها بوصفها واحدة من أفضل المسرحيات التى عرضتها برودواى منذ سنين(2). ويراها جون هيلبيرن John Heilpernالكاتب بصحيفة "نيويورك أوبزرفر" على أنها "مسرحية سياسية كتبت لأرض الضياع ببرودواى التى تعرض مسرحيات هزلية هدفها إثارة الضحك فقط"(3) . أما مايكل بلنجتونMichael Billington ، الذى ينظر إليها بوصفها مسرحية تشغل القلب والعقل معا، يكتب:

> باختصار فإن مسرحية هير، مهما كانت عيوبها، تعالج أفكاراً هامه. فهى لا تعالج فقط الفوضي الناجمة عن حرب العراق ، ولكنها تعالج أيضاً عدم شرعية الساسة المنتخبين والفوارق الثقافية بين أمريكا وبريطانيا، كما تعالج مخاطر الإنكار وعدم جدوى عزل السياسة عن الحياة الخاصة.
> (Hare Hits Manhattan 4-3)

وترجع جذور مسرحية "اللحظة الحرجة" إلى انبهار كاتبها بالموقف السياسى الذى تبنته الشخصيات الليبرالية – ولاسيما الأكاديميون الذين أيدوا حرب العراق لأسباب مثالية، فالشخصية المحورية فى المسرحية هى شخصية نادية بلاى التى كانت تعمل مراسلة سابقة، تقوم بكتابة تقارير عن الحرب وهى ذات خبرة اكتسبتها فى البوسنة والبلقان وبغداد، وتعمل الآن أستاذا بقسم العلوم السياسية فى جامعة ييل، حيث يصحبها صديقها فيليب فى رحلة لزيارة أبيه ،أوليفر، المنفصل عن أمه، والذى يعمل طبيبا ويعيش فى عزلة عن العالم بشروبشاير. وتأخذ المسرحية أساسا شكل جدل أخلاقي وسياسي بين الإثنين فنادية، وهى إنسانة عملية وصريحة وتنتمي لليمين، تؤمن بتدخل الغرب أما أوليفر، من الناحية الآخرى،يعارض الحرب بشدة، فهو مثالي ليبرالي يخفي قوة أرائه خلف قناع من الموضوعية الساخرة الهادئة كما يختفي من العالم – من الدمار العاطفى الذى حل بحياته الخاصه – فى تراجعه للريف. ومع تطور المواجهة بينهما وبالرغم من وجود الإبن تأخذ العلاقة بينهما شكل انجذاب جنسى حيث تقع نادية فى غرام أوليفر.

وعندما سُئل المنتج المسرحي هرن جيرمي Herrin Jeremy عن نوع الرحلة التى تقوم بها الشخصيات فى المسرحية رد قائلاً:

> انهم جميعاً (بإستثناء دنيس داتون) يقتربون أكثر من أنفسهم أثناء سير المسرحية، حيث تعرضهم أحداث المسرحية لمستويات من الحيل النفسية التى يلجئون إليها حتى تبعدهم عن معرفة وفَهْم حقيقة أنفسهم، وما يفعلونه وكذلك طريقة انسجامهم مع العالم الذى يعيشون فيه، والرحلة التى تقوم بها الشخصيات ليست رحلة داخلية؛ أى أنها ليست رحلة فى أعماق الذات. كما أن المسرحية تدور أحداثها أيضا حول الجنس والحب والعادات النفسية، كما أنها عن الأسر

والأنماط النفسية التى ترسخت من خلال الشعور بعدم الأمان والذنب والخوف وتغلف المسرحية بحلقتى درس، وبين هذه الدروس تذهب نادية لإنجلترا مع صديقها لمقابلة والده،ويحدث ذلك فى منتصف المسرحية على مدار يوم وليلة، وتبدأ نادية بوصفها امرأة واثقة جداً من نفسها، فهى تعرف ما تريد من الحياة، وإلى أين تذهب، كما تعرف ما الذى تعنيه السياسة. وآنذاك يحدث شيء ما يثيرها ويجعلها تفقد الثقة بنفسها، شيء ما يجعلها تخطئ، ويجعلها تعيد تقييم وجودها. (14)

تعمل نادية بلاى أستاذا للدراسات والعلاقات الدولية بجامعة ييل، وكانت مراسلة سابقة متخصصة فى إعداد التقارير الحربية أثناء صراعات البلقان فى التسعينيات. وعندما تبدأ المسرحية نراها فى مكتبها بالجامعة تلقي درساً خصوصياً على دنيس داتون، وهو واحد من تلاميذها، وتناقش دنيس بخصوص مقال قد كتبه، والذى فيه يحاول أن يثبت وجهة نظره بأنه ليس هناك شيء يسمى بالرأسمالية، وبعد مناقشة طويلة يقوم دنيس بالإفصاح عن أنه يحتقر وجهات نظر نادية السياسية، وخلال المناقشة يحاول داتون إقناعها بوجهة نظره بأن البلدان الأخرى يجب أن تدرس ما تفعله أمريكا، وتحاول تقليدها إذا قُدِر لها أن تكون لها فرصة فى التقدم والنجاح، وعندما تناقشه نادية أكثر فإن دنيس يعترف بحبه لها، وعندما ترفض نادية دنيس، فإنه يبدأ تحليلها نفسياً مدعياً أنها منجذبة نحوه لا شعورياً، مما يضطر نادية الطلب منه بأن يترك مكتبها.

وبعد حوالى أسبوع تجد نادية نفسها فى منطقة حربية أخرى عندما تسافر مع صديقها الإنجليزي فيليب لوكس إلى شروبشاير لزيارة والد فيليب، ويُدعى أوليفر، وهو طبيب يسكن فى الريف ولم ير نادية فى حياته من ذى قبل، ولذا فهو سعيد أنها وفيليب قد قررا المجيء إلى إنجلترا لمقابلته، ويخبر فيليب نادية أن والده رجل متعود على مطاردة النساء كما أنه ضد حرب العراق، ويتقابل كلاً من أوليفر ونادية على الإفطار، ويبدأ أوليفر فى الحال مناقشتها بخصوص وجهة نظرها من غزو العراق، وهكذا يبدأ الاثنان فى مناقشة مزايا وعيوب غزو العراق، وتدخل بلد فى شئون بلدٍ آخر.

تبرر نادية الغزو معتمدة فى ذلك على الاضطهاد السابق للعراقيين من قِبل صدام حسين، وعلى ملاحظتها أن القوى الغربية لم تفعل شئيا لتخفيف معاناة شعوب البلقان، وفى المسرحية نعرف أن نادية قد قامت بزيارة للرئيس الأمريكي جورج بوش لتقدم له المشورة بخصوص الشرق الأوسط والعراق، وتعترف نادية أن ما تلا الغزو لم يكن مرغوباً فيه إلا أن هذا لا ينفى المبرر الأصلي وراء الغزو، وهكذا يكتشف أوليفر أنها أيدت الغزو، وأنها شخصياً نصحت الرئيس بوش بالتدخل فى العراق من أجل أسباب إنسانية، ويرد عليها قائلاً أن قوات الغزو الأمريكية والإنجليزية لم تضع خططاً لإعادة إعمار العراق، وأن مبرر الغزو وهو أسلحة الدمار الشامل المزعومة كان مفبركاً، ولا أساس له من الصحة.

وفى وقتٍ مبكر من صباح اليوم التالي تترك نادية فيليب نائماً فى الفراش، وتخرج إلى الحديقة حيث تجد أوليفر جالساً بمفرده وهو يقرأ كتاباً، ويدور حديث بينهما تفصح فيه نادية عن أنها تهرب من ماضيها بوصفها مراسلة حربية، كما أنها تهرب من علاقة مضطربة وكارثية كانت تربطها بصحفى بولندي، ويعترف أوليفر أنه استشاري طبي ثري، ولكنه انتقل إلى جانب التل بشروبشاير النائية بعد تعرضه لحادث قتل فيه امرأة كانت تربطه بها علاقة خارج نطاق الزوجية، وأثناء سير المحادثة يتطور نوع من الانجذاب غير المعلن بين أوليفر ونادية، وأخيراً

ينهض فيليب من فراشه، ويجد أباه وصديقته فى الحديقة، فيتهم أوليفر بمحاولة إغراء نادية، ولكن أوليفر ينكر أى دافع جنسى وراء محادثتهما، ويتسبب موقف فيليب هذا فى توتر العلاقة بينه وبين نادية، ويقرر فيليب ونادية فى نهاية الأمر أن يتركا منزل أوليفر ويتجها إلى ويلز.

وبعد شهور فيما بعد نقابل نادية مرة ثانية وهى تلقى درساً خصوصياً على تيري، وهى طالبة ذكية متخصصة فى علم السياسة، وتقوم نادية بنقد آخر مقال كتبته تيرى للعرض فى الفصل، وتخبر تيري نادية أنها تنوي الرحيل من بيل لأن صديقها قد انفصل عنها، وتواسيها نادية قائلة أنها أيضاً هى الأخرى قد أنهت علاقتها بصديق مؤخراً، وتقنع نادية تيري بأن تتروى قبل أن تأخذ قرارها الأخير بالرحيل من بيل، وتشير نادية فى نفس الوقت إلى أنها تنوى الرحيل من بيل لتعود لممارسة عملها بوصفها مراسلة تكتب تقارير عن الحرب.

تتبع مسرحية اللحظة الحرجة البناء الدائرى، فالمسرحية تبدأ وتنتهى فى مكتب نادية بجامعة بيل، وفى البداية نرى نادية مع أحد تلاميذها تقيم مقالا قد كتبه، وفى النهايه نراها مع طالبة من طالباتها يتناقشان حول مقال قد كتبته الطالبة. فى المشهد الأول مع الطالب يتطرق حديث نادية ودنيس داتون إلى السياسة حيث تُعرف نادية السياسة بأنها "توفيق ما لا يمكن توفيقه" (20) والسياسة بهذا المعنى يبدو دورها كالدور الذى تقوم به الأنا فى نظرية فرويد عن الشخصية. ففى حين نجد أن الأنا فى نظرية فرويد تقوم بالتوفيق بين رغبات الأنا الأعلى والهو، فإن السياسة تقوم بالتوفيق بين المطالب المختلفة للدول المتنازعة. وعلى النقيض تماماً من رأي نادية بخصوص السياسة، يرى داتون أن السياسة تعني "حماية الملكية والحرية" (20). ومن الحوار الذى يدور بينهما نرى إختلافا كبيرا بين وجهات نظرهما، وخلافهما هذا ينذر بالخلاف الذى نراه فيما بعد بين نادية وأوليفر حول حرب العراق. ثم يتطرق حديث نادية ودنيس إلى نظرية فرويد بخصوص الإختلاف بين المظهر الداخلى والظاهرى للشخص، وهذا يمهد الطريق لمعالجة موضوع يتمثل في صعوبة الفصل بين الحياة العامة والخاصة، وفى النهاية يفاجئ داتون نادية بإفصاحه لها أنه واقع فى غرامها، ذلك الغرام الذى ترفضه نادية، وفى نهاية المسرحية نجد نادية مع تيرى تقيم لها بحثا بعنوان "أسباب وأصول الحرب على العراق" وهنا يمكننا رؤية استحالة الفصل بين الحياة العامة والخاصة حيث نجد أن نظرة تيرى التشاؤمية فى المقال يرجع سببها إلى إنفصالها عن صديق لها كانت ترتبط معه بعلاقة عاطفية.

وبالإضافة إلى البناء الدائرى للمسرحية نجد هير يستخدم أيضا تعدد الأصوات فى العمل الأدبي كى يتجنب الوقوع فى مصيدة التحيز كما فعل من قبل فى مسرحية "هذه أمور تحدث" فإذا كان من السهل علينا أن نخمن موقف هير من الحرب على العراق فإنه يعرض فى المسرحية وجهتي نظر مختلفتين حول حرب العراق دون أى تدخل منه.

إن جوهر مسرحية اللحظة الحرجة يكمن فى المواجهة التى تتم قبل الفجر فى حديقة تقع على حدود ويلز فالمضيف أوليفر وهو رجل مثالى ليبرالى ساخر ولكنه يهاجم نتائج غزو العراق فى عام 2003م هجوما لاذعا، أما نادية، الضيفه في منزله، فتؤيد التدخل الإنساني وفى هذا الصدد يقول مايكل بلنجتون فى مراجعته للمسرحية تحت عنوان "مراجعة اللحظة الحرجة: إحياء فى الوقت المناسب لتحقيق هير حول العراق "إن كنا نستطيع تحديد موقف هير من القضية الأساسية، فهو لديه قدرة الكاتب المسرحى الطبيعى على عرض جانبى القضية والكشف عن العيوب فى كلتا الشخصيتين فإذا كانت لباقة أوليفر الهادئة تخفى فشله الذريع بوصفه زوجا وأبا فإن إيمان نادية بدور أمريكا يمليه عليها حنينها، ذلك الحنين الذى صار إدمانا معها، لكتابة التقارير عن مخاطر الحرب" (1). ولذا تعتقد نادية أنه من واجب الولايات المتحدة أن تحل مشاكل البلدان الأخرى، ويشمل هذا الاعتقاد العراق، أما أوليفر الذى كان ضد الحرب من البداية

والمولع بشكل واضح بالإستعارات الطبية، فإنه يراها عملية فاشلة بشكل كارثى قام بإجرائها أطباء غير أكفاء.

إذا كان هير يستخدم تقنية التجاور فى عرضه لوجهتي نظر مختلفتين تجاه حرب العراق فهو يستخدم نفس التقنية أيضاً فى المشهد بين نادية وداتون وبين نادية وتيرى كما يستخدم هير أسلوب التغاير كتقنية أساسية فى عرضه للخلاف الموجود بين جيل الأباء والأبناء؛ ذلك الخلاف الذى يذكرنا بالخلاف بين جريجرز فيرلى Gregers Werle ومستر فيرلى Werle فى مسرحية "البطة البرية" للكاتب النرويجى العظيم هنريك إبسن وكذلك الخلاف بين كريس Chris وجوكيلر Joe Keller فى مسرحية "كلهم أبنائى" وكذلك الخلاف الموجود بين بفBiff وويلى لومان Willy Loman فى مسرحية "بائع متجول" للكاتب الأمريكى الشهير أرثر ميللر. إن الإبن فى مسرحية "اللحظة الحرجة" يرمز إلى جيل مثالى ضحية جيل عملى يمثله الأب فالإبن هنا هو ضحية العلاقة المتوترة بين الأب والأم والتى كان سبب توترها هي خيانة الأب للأم مع العديد من النساء.

كما يستخدم هير في "مسرحية اللحظة الحرجة" تقنية التحليل الاسترجاعي لأحداث الماضي؛ ففى الحوار الإسترجاعي لأحداث الماضى بين نادية وأوليفر نستطيع التعرف على بناء شخصيتهما من الناحية النفسية كما نستطيع أن نعرف الدوافع وراء سلوكهما فى الوقت الحالي. فنعرف الظروف التى مر بها أوليفر حتى انتهى به المطاف إلى الإقامة وحيداً فى شروبشاير كما نعرف أنه ارتكب حادثاً على الطريق عندما اصطدمت سيارته بسيارة أخرى مما أدى إلى مقتل قائد السيارة الأخرى ونعرف أيضاً أنه ارتكب حادثاً آخر وكان معه إحدى عشيقاته التى قتلت فى هذا الحادث كما أننا نعرف أن السبب الحقيقى لتوتر العلاقة بينه وبين زوجته كان سببها علاقاته الجنسية مع عدد من النساء ونعرف أيضاً كيف تشكلت وجهة نظر نادية السياسية نتيجة عملها بوصفها مراسلة فى البلقان والبوسنة والعراق، كما نعرف كيف التقت نادية بفيليب وكيف وقعا فى غرام بعضهما. ويساعدنا أيضاً التحليل الاسترجاعي لأحداث الماضى على معرفة سبب الخلاف والتوتر بين أوليفر وابنه فيليب ، فعلى سبيل المثال لا الحصر يكشف فيليب لنادية عن سبب تأزم العلاقة بينه وبين والده عندما يقول لها:

> لقد ولدت لأبوين تعيسين، أتذكرين ؟ ولذا فإنى أرى الأمور بطريقة مختلفة. كنت أستيقظ كل صباح على صوت والدايّ وهما يمزقان بعضهما بعضاً. إن هذا هو السبب في أنني جاريت كل واحد، إن هذا ما أجيده، التوفيق بين الناس، لقد فعلت هذا طوال حياتى. (116)

عندما نعرف أن الخلاف بين الابن والأب يرجع سببه إلى توتر العلاقة الزوجية بين الأب والأم، ذلك الخلاف الذى كان سببه خيانة الأب للأم، نستطيع أن نفهم سبب عدم ثقة الابن في أبيه، كما أننا نلتمس العذر لفيليب سواء في الطريقة التي يتحدث بها عن أبيه مع نادية أو في عيشه بمنأى عن أبيه.هناك إنقسام صارخ فى الطريقة التى يختارها كل من الأب والإبن ليعيشا حياتهما فلكى يظل موجودا، لابد للأب أن يبعد عن المذبحة التى كان هو سببها وينحاز لشعراء بريطانين من أمثال ويلفريد أوين وبهذه الطريقه يبدى إحساساً بالوطنيه أما فيليب فعليه أن يعيش فى أعقاب إتخاذ الآخرين لقرراتهم حيث أنه لا يقحم نفسه أبداً فى عملية إتخاذ القرار فهو يستثنى نفسه من المحادثات التى تدور بينهم، مؤثراً الراحة ومفضلاً تجاهل النكد الطفولى الذى يعتنقه.

وخلاصة القول، فإن ديفيد هير كاتبا ثائرا، فهولايرتضى الفساد داخل المؤسسات فى بلده، حيث يقوم باستخدام مشرطه لتشريح جسد هذه المؤسسات ليكشف عن مواطن الفساد فيها، كما أنه غير راض عن السياسات التى يتبعها الغرب فى تعامله مع دول العالم الثالث، مما يجعله يسلط سوطه على هذه السياسات التى قوامها الغش والكذب والرياء، وهذا مايفعله ،على سبيل المثال، في نقده اللاذع للسياسة التى اتبعتها ادارة بوش الابن في غزوها للعراق. كما أن هير مهتم أيضا فى مسرحياته بإيضاح أنه لايمكن الفصل بين ماهوخاص وعام . فهو يري أن الانسان كائن اجتماعى لايعيش بمعزل عن الآخرين وأن مايقوم به من أفعال تؤثر علي الآخرين كما أنه فى نفس الوقت يتأثر بما يتخذه الآخرون من قرارات. و لكى يغلف رؤاه بغلاف درامى، فإن هير يستخدم تقنيات مثل تعدد الأصوات والتجاور والتغاير والتحليل الاسترجاعى لأحداث الماضى، ولعل مسرحية "اللحظة الحرجة" هى خير دليل علي مايهتم به من أفكار ومايستخدمه من تقنيات.

ديفيد هير

اللحظة الحرجة

ترجمة:

د. عوض حامد الكيلانى

شخصيات المسرحية

أوليفر لوك	Oliver Lucas
نادية بلاي	Nadia Blye
دنيس داتون	Dennis Dutton
فيليب لوكس	Philip Lucas
تيرى شولز	Terri Scholes

الفصل الأول

المشهد الأول

(أوليفر لوكس بمفرده علي خشبة المسرح، وهو رجل إنجليزي متحفظ في التعبير عن مشاعره، يرتدي ملابس غير رسمية، وهو في أواخر الخمسينيات من عمره.)

أوليفر: عرفت منذ أمد بعيد إنني سوف أتعرض لحادث. هذا ما كنت أشعر به، فأصبحت محاولة التركيز مستحيلة، فالسنوات عديدة لا ترتكب خطأ، وفجأة ترتكب خطأ، وتشعر أنه لا مفر من ارتكابه، فأنت تعطى إشارة يمينا وفي نيتك أن تسير يسارا وتدفع ثمن ذلك.

المشهد الثانى

(نادية بلاى تنحني علي منضدة في مكتبها، وهي أمريكية شاحبة اللون هادئة في منتصف الثلاثينيات من عمرها، ترتدى زيا غير رسمى، وفي مواجهتها يقف دنيس داتون، وهو في أوائل العشرينيات من عمره، كما أنه أمريكى الجنسية أيضا، يرتدي ملابس لا تتناسب مع شخص في مثل سنه، فهو يرتدى بدلة ورابطة عنق، شعره ناعم ومسترسل، ويلبس حذاء رياضيا.)

نادية: إن هذا ليس مقالا سيئا.
داتون: أشكرك.
نادية: إنه ليس سيئا.

(ينتظر داتون.)
نادية: من الواضح أنني لم أقنعك بوجهة نظري عن السياسة.
داتون: إنني أعرف وجهة نظرك.
نادية: إنها الرغبات المتنازعة، أليس كذلك ؟ لواضطررت لتلخيصها، فإنني أسميها الرغبات المتنازعة، فهذا ما تعنيه.
داتون : هذه وجهة نظرك.

نادية : هذا صحيح، فالناس يريدون أشياء مختلفة، والأشياء التي يريدونها لا يمكن التوفيق بينها، فكل شخص لا يمكن أن يحصل علي ما يريده، ولذا فإن التدخل بين الجماعات المستفيدة، تلك الجماعات التي تريد أشياء مختلفة، هو ما نسميه بالسياسة.

(تنتظر نادية، ولكن ليس هناك رد.)
نادية : وفي النهاية يمكنك القول: إن السياسة هي توفيق ما لا يمكن توفيقه.
داتون : إنني لا أراها من هذا المنظور.
نادية: لا.
داتون : بالنسبة لي السياسة هي حماية الملكية، والحرية.
نادية : نعم نعم، إن هذا ما تقول في هذا المقال.
داتون : إن هذا ما أقوله، إنه بخصوص حقوق الناس في أن يعيشوا حياتهم، إنه بخصوص الثوابت.
(تفكر نادية، وتدرس كيفية الرد علي ذلك.)
نادية : نعم نعم. ولكن هناك مشكلة، أليس كذلك؟
داتون : أهناك مشكلة ؟

نادية : نحن نعرف حقيقة أن الحياة البشرية تميل بطبيعتها تجاه الظلم.
داتون : أنعرف ذلك ؟
نادية : أعتقد أننا نعرف ذلك، فهناك عدم مساواة في المولد، وفي الموهبة، وفي الظروف، وهكذا. لابد من تقديم ضوابط، وتوازنات من خلال مؤسسة بشرية، فالدولة في أي نظام يقره الإنسان- وليكن نظاما شيوعيا، أو نظاما رأسماليا- مضطرة للتدخل لموازنة الأشياء لحماية الضعيف من الجور عليه.
داتون: إنني لا أقبل هذا المصطلح.
نادية : أي مصطلح ؟
داتون : "الرأسمالية".

(يعبس وجه نادية.)
نادية : ألا تقبل المصطلح ؟
داتون : لا.
نادية : ألا تقبله ؟
داتون : لا.
نادية : ما معنى هذا ؟ ماذا تقصد ؟
داتون : إنني لا أعتقد أنه يوجد شيء كهذا.
نادية : ليس هناك شيء كالرأسمالية ؟
داتون : هذا صحيح.
نادية : هاه. تكلم بالتفصيل.
داتون : ماذا ؟ ماذا تريدينى أن أقول ؟
نادية : أعتقد أنني أريد منك الإجابة علي ما أسأل : فما الاسم الذي تطلقه عليها إذا ؟ فماذا تسمى النظام الذي نطلق عليه اسم "الرأسمالية الاستهلاكية" و "الديمقراطية الليبرالية" التي تتميز بتعدد الأحزاب السياسية، والنقابات الكبرى، والمصالح الصناعية والعسكرية الضخمة ؟ ذلك النظام الذى تم تنميته في الغرب من قبل الحكومات الديمقراطية الغربية، فماذا تسميه ؟
داتون : الحياة. نسميه "الحياة".

(تهز نادية رأسها هزة خفيفة.)
نادية : لا أقصد الإساءة إليك، ولكن هل تعتقد أن الدراسات السياسية كانت هي الموضوع المناسب لك ؟
داتون : هذا ما أراد لي أبي دراسته.
نادية : هل يهمك والدك ؟
داتون : جدا. إنني معجب به أكثر من أي إنسان آخر في العالم.

(تنظر نادية لحظة، وهي مستغرقة في التفكير.)
نادية : إنه فقط... كيف أعبر عن هذا ؟ إنى لا أعلم... إن فكرة المقارنة هي فكرة أساسية في الدراسات السياسية.
داتون : بالتأكيد.
نادية : إننا نقارن.
داتون : بالتأكيد.
نادية : إن هذا ما نفعله. إن هذا محور دراستنا ومعنى هذا : "أنه كان هناك طريقة للنظر للأشياء والآن هناك طريقة أخرى".

داتون : إلى هذا الحد.
نادية : حسناً حتى لا نغالي في الموضوع إن مثل هذه المقارنة تصبح صعبة لو بدأنا بالفكرة القائلة أنه يوجد نظام واحد فقط، يوجد طريقة واحدة فقط.
داتون : ولكن يوجد.
نادية : أيوجد ؟

(يبتسم داتون.)
داتون : إنني أعرف أنه من غير المناسب أن أسأل، ولكن لماذا تعتقدين أن أمريكا قد انتصرت ؟
(ترتبك نادية قليلا.)
نادية : غير المناسب ؟ هل "غير المناسب" هي الكلمة المناسبة لوصف انتصار أمريكا ؟ ولكنني لست متأكدة إن كنت سوف أتقبل كلمة "انتصار" أيضا.
داتون : ولمَ لا، ولمّ لا تتقبلين كلمة "انتصار" ؟
نادية : اسمع. اسمع هذه كلية جامعية، وليست مدرسة، فنحن لا نُدرس طريقة واحدة، وإنما نُدرس طرق كثيرة، فأنت تقول أنك معجب بالديمقراطية التحررية. حسنا، ففكرة المناقشة الحرة هي شيء أساسي في الديمقراطية التحررية، والمناقشة الحرة تعني التبادل الحر للأفكار، ومقارنتها.
داتون : أتقولين لي إنني مخطئ في حبي لأمريكا ؟
نادية : أنا لم أقل هذا.
داتون : أ خطأ مني أن أحب بلدي ؟
نادية : أنا لم أقل لكَ أي شيء كهذا. بل أقول لك أن هذا الحب لا يجب أن يعميك. هذا كل ما في الأمر. يجب ألا يصيبك هذا الحب بالغباء.
داتون : الغباء ؟
(هناك صمت. تمسك نادية بالمقال، وهي مرتبكة وتمشي إلى الجانب الأخر من الحجرة، وداتون هادئ جدا.)
داتون : الحقيقة هي - إنني لا أريد أن أقول - لقد جئت اليوم إلى هنا لأقول: إنكِ أنت التي أحب.
نادية : أنا ؟
داتون : إنني لا أكل ولا أنام منذ أن تقابلنا. لا بد أنكِ قد لاحظت ذلك.
نادية : ماذا تقصد بذلك ؟
داتون : لقد فقدت وزني بشكل مزعج، هل لاحظتِ ذلك ؟
نادية : لم ألاحظ.
داتون : إنى مريض. ذهبت إلى حفل مشويات في عطلة نهاية الأسبوع. حتى رائحة الشواء جعلتني مشمئزا.
(نادية تبحث في حيرة عن رد.)
داتون : إنى أفكر فيكِ طوال الوقت. إنى أجد التفكير فيكِ مثيرا إلى حد لا يصدقه عقل. التفكير في من أنتِ.
نادية : من أنا ؟ قل. إن كنت تتخيل... أستحلفك بالله دعنا نكون جادين، قل لي: من أنا ؟
داتون : أنتِ المرأة الموجودة في العالم.
نادية : أي امرأة ؟
داتون : علي شاشة التلفاز.
(داتون يرفع يده في الحال.)
داتون : علي كل حال كان من الغباء قول هذا.
نادية : أيها الصبي.

داتون : حسنا !
نادية : علي أية حال هناك نساء كثر علي شاشة التلفاز.
داتون : لم يكن هذا قصدي...
نادية : هل لديك مشاعر تجاهي لإنني كنت علي شاشة التلفاز ؟
داتون : امرأة في العالم. هذا ما كنت أقصد. امرأة في العالم.
(بعد الصدمة، نادية الآن غاضبة.)
نادية : يا دنيس، يا دنيس إني مضطرة لأن أخبرك أن هناك نساء كثيرات في العالم، فكما تقول أنت -كثيرات جدا. إننا لسنا في الخمسينيات من القرن العشرين في الواقع. إن الافتراض في مجمله يثير غضبي، فكم سنك ؟
داتون : اثنان وعشرون .
نادية : إنى مؤيدة للحركة النسائية، وما تقوله يغضبنى.
داتون : لماذا؟
نادية : لأن هدف النساء المشاركات، هدف النساء الأذكياء، أو المشهورات، أو كما يتم وصفهن بأية طريقة، هدف النساء اللاتي يتحدثن عن السياسة الدولية ليس إثارة الرجال.
(هناك صمت، و داتون هادئ جدا.)
داتون : إنكِ لا تعرفين ؟ إنكِ ليس لديكِ فكرة ؟
(تنظر نادية مقررة كيف تتعامل معه.)
نادية : علي أية حال من الرحمة أن هناك عرفا...
داتون : أعرف هذا العرف...
نادية : هناك عرف للتعامل مع هذا النوع من المواقف السخيفة.
داتون : بالفعل لدي نسخة هنا. أعتقد إنكِ سوف تجدين...
نادية : ليس من الضرورى حقا. يا إلهي.
(داتون يخرج نسخة مكتوب فيها العرف، ولكن نادية تمنعه من فتحها.)
نادية : لذا، لذا ،بطريقة أو بأخرى، إن هذاهو درسنا الأخير.
داتون : لم تعتقدين إنني تكلمت ؟
نادية : سأتجاهل ما قلته، سأنساه.
(صمت قصير.)
داتون : هل يمكننى أن أقول شيئا ما ؟
نادية : لو كان بخصوص السياسة، نعم.
داتون : هذا كله هراء، أليس كذلك ؟
نادية : إني لاأعرف ما هو الهراء. قل لي.
داتون : دراسة العلاقات الدولية.
نادية : كيف تكون دراسة العلاقات الدولية هراء يا دنيس ؟
داتون : لقد دَرستُ هذا الموضوع كما تعلمين. إنني متخصص في الأعمال التجارية، وإهتمامي هذا هو بداية، ولكن والدي يريد أن يتسع أفقي لأدري لماذا، فأفق أبي ضيق جداً.
نادية : ضيق، كيف ؟
داتون : إنه يريد المال. إن هذا هو الشيء الوحيد الذي يريده.
نادية : حسنا ؟
(يجلس داتون إلى الأمام.)
داتون : هذه هي وجهة نظري : أمريكا تفوز، فهي دائما تفوز، يمكنكِ معرفة كل هذه الأشياء من المنظور التاريخى. يمكنكِ القول بأنها إمبراطورية، ومثل أي إمبراطورية سوف تنهار، ولكن

حتى الآن لم تنهار،ولن تنهارخلال فترة حياتى؛ ولذا قولي: أن هناك فارسا مشاركا في سباق وأن الفارس يفوز بالسباق، وحينئذ، فإن المتسابقين الآخرين لو كان عندهم ذكاء، فسوف يسألون "كيف فعل ذلك ؟" فهم ينظرون إلى الفائز، وينظرون إلى أساليبه، ويحللونها ويقولون "حسنا"، وتلك هي الطريقة التي ستزدهر بها البلدان الأخري، فهم سيزدهرون بتقليدهم لأمريكا، وبالنسبة لي فتلك هي الدراسات السياسية "ماذا تفعل أمريكا ؟ كيف يمكن لأي أحد آخر الاقتراب منها ؟".

نادية : أنا سعيدة أن سنة تدريسي لم تضيع هباءً بالكامل.

داتون : إنها لم تضيع.

نادية : هذا جيد.

داتون : في الواقع...

نادية : يا دنيس ...

داتون : هذا ما أردت أن أقوله. إنني لا أريد أن تفهمي إنني درست هذا الموضوع لأي سبب أخر، ولكن لكى أتعلم. إن أخر شيء أريده هو إزعاجك.

نادية : شكرا.

داتون : إنكِ معلمة بارعة.

(تبدو نادية متحفظة خائفة مما هو قادم.)

داتون : ومع ذلك، فإننا لا نستطيع مواجهة هذا، فالشيء الآخر حدث لي.

نادية : دنيس.

داتون : لقد حدث، ولا يمكنني التظاهر بأنه لم يحدث.

نادية : إنني لن أسمح بهذا الموضوع.

داتون : لقد وقعت في الغرام، وقد أكررلكِ هذا ثانيةً في يوم تال، لقد كنت أتحدث في هذه الأمور مع خطيبتى...

نادية : عفوا ؟ خطيبتك ؟ إعذرني ؟

(تنفض نادية يدها وهي مستاءة.)

نادية : يا دنيس، أعتقدت أننا قد اتفقنا، فهذه ليست فترة الخمسينيات.

داتون : انصتي حتى تفهمي...

نادية : لست مضطرة للفهم، وفي الواقع لا أريد أن أفهم.

(والآن جاء دور داتون لأن ينهض منفعلا.)

داتون : إنه ليس - إنه صعب. أنصتى ! أنصتى ! إنى لا أعرف إذا كنتِ لا تعرفين ولاية "مين"- علي أي حال هناك أسرتان كبيرتان في ولايتنا. فلسنوات كثيرة أعتقدت كل منهما إنني سوف أكون في نهاية المطاف مع ڤال: إفهمى.

نادية : لقد قلت تواً : إنني لأريد أن أفهم.

داتون : ولكن كما تعرفين، دعيني أقول لكِ ڤال ليست فقط خطيبتي، ولكنها أيضاً صديقة، فهي أفضل أصدقائي.

نادية : وڤال ليست لديها مشكلة في أداء هذين الدورين.

داتون : إن التحدث مع ڤال هو مثل التحدث مع شخص ما - شخص ما موضوعى، وكانت ڤال هي التي قالت:"انظر يا دنيس إنك كنت ومازلت تعاني منذ أمدٍ بعيد، ومن أجل مصلحتك لابد وأن تتحدث إليها" فهي التي أوحت بهذا وليس أنا.

(تنظر نادية إلى داتون، محاولة فهمه، وحينئذ تذهب وتجلس في الجانب البعيد من الحجرة كما لو كانت مهزومة.)

داتون : ما كنت لأقول هذا، ما كنت لأقول هذا لو كان الأمر بيدي.

(هناك صمت، وعندما تجيب نادية تكون مترددة.)

داتون : ماذا تعتقدين ؟

نادية : أعتقد أن المرء يعتقد - فأنا أعتقد - أن العالم يتقدم للأمام، فالعالم يتقدم ببطء للأمام، ولقد كنت أفترض دائما ومازلت أن المجتمع سوف يتقدم، وأنا أعمل وفقاً لهذا الافتراض، فالاتجاهات القديمة تندثر، ولكن ماذا يمكنك أن تقول ؟ إنهم لا يندثرون، إنهم لا يندثرون.

داتون : لست متأكد إن كنت أفهمك.

نادية : فكما تعلم أقضى وقتا كثيرا في البوسنة وفي صربيا، وعموما يمكن القول-فقط: إنني أفضل تواجدي هناك، ولكن الناس هنا –

(تغير نادية مسار الموضوع دون أن تنهي فكرتها.)

نادية : ولو عبرنا عن هذا الأمر بطريقة أخرى : فأنا لا أستطيع أن أري نفسي علي علاقة بشاب يبلغ من العمر اثنين وعشرين عام، ولا يمكننى أن أتخيل نفسي حتى في هذا الوضع.

داتون : ولكن هذا جيد أليس كذلك ؟ أليس هذا شيء طيب ؟

نادية : دعنا نقول أن الثقة: مجرد ثقة الطبقة الثرية، هذه الثقة الغريبة بالذات التي تقوم علي سنوات من التراكم، لا تؤثر في.

(هناك صمت.)

نادية : لقد كان الكلام في هذا الموضوع مثير للكآبة بشدة لبضع دقائق.

(ينظر إليها داتون للحظة.)

داتون : إنى أسمعك.

نادية : عظيم.

داتون : ولكن ما من شيء تقولينه يقنعني، فكما حدث، فقبل أن أدرس السياسة، درست علم النفس...

نادية : يا إلهي !

داتون : باختصار فرويد.

نادية : كم أسبوع ؟ كم أسبوعاً قمت فيهم بدراسة فرويد ؟

داتون : ثلاثة أسابيع مكثفة.

نادية : بالتأكيد.

داتون : بالفعل يمكنك فهم الكثير في ثلاثة أسابيع.

نادية : ويمكنك أيضا إساءة فهم الكثير في ثلاثة أسابيع.

داتون : أتعرفين هذا ؟

نادية : جربنى.

داتون : فرويد له نظرية تقول: أننا لسنا ما ندعي.

نادية : حقا.

داتون : يقول فرويد أننا جميعا بداخلنا شخص آخرمختلف عما نبديه.

نادية : كنت أعتقد أن هذا بديهي. لقد كنت أعتقد أن هذا واضح.

داتون : ربما يكون هذا واضحا، ولكن هل فكرتي في ما يعنيه ؟

نادية : من الواضح أنك ستقول لي: إني لم أفهم.

(يميل داتون للأمام وهو مُصِر.)

داتون : فكري، فالشخص الحقيقي – فالشخص من داخله مختلف تماما ولديه مشاعر مختلفة تماما عن الشخص الذي نراه في الظاهر، فهويتنا الحقيقية – هويتنا الداخلية – ليس لها علاقة بالشخص الذي نبرزه للعالم.

نادية : حسنا إنها نظرية مناسبة جداً، ولكن هذا كل ما تعنيه، فهي مجرد نظرية.

داتون : لذا ما أحاول الوصول إليه هو هذا : إنكِ لا تقنعينني وشيء ما يقول لي – فغرائزي الفطرية تقول لي – إنكِ لا تقنعينني من الداخل.

(تحاول نادية أن تتمالك نفسها من الغضب.)
داتون : أعتقد أن هذا حدث من قبل، فأنا لست أول طالب. إنى أعلم أنكِ لن تقولي لي، ولكني أخمن أن هذا يحدث طوال الوقت، فأنا لا أري كيف أنه لا يمكن أن يحدث، فلابد أن يحدث، ومع ذلك، ولمبرر ما تدعين أنه لا يحدث. إنكِ تدعين الجهل بشيء ما تعرفين الكثير عنه.
(تنظر نادية إليه.)
داتون : لدي شعور أن ذلك جزء من جاذبيتك.
(هذا هو الملاذ الأخير لنادية، فهي تفتح إليه الباب ليرحل.)
نادية : هذا كل ما في الأمر. هذه هي نهاية الدرس. تفضل، تفضل مقالك، فالدرس قد إنتهي.
داتون : أهذا كل مافي الأمر ؟ أقد انتهينا ؟
نادية : لقد انتهينا.
داتون : شكرا جزيلا لك.
نادية : لا شكر علي واجب، أشكرك.
(نادية وقد أعطته المقال عند الباب، والآن قد صافحا الأيدى.)
نادية : أعتقد أنى بدأت بالقول: أن السياسة هي عن الخلافات التي لا يمكن توفيقها، فهي عن كيفية تسوية الخلافات بين الناس ذوى أوجه النظر والاحتياجات التي تختلف اختلافاً حاداً، وهكذا، ووفقا لهذا المعيار لقد عقدنا توا مناقشة سياسية رائعة.
داتون : نعم.
(ينظر داتون لحظة.)
داتون : ما هي فرصتي في رؤيتكِ ثانية ؟
نادية : صفر.
(يهز داتون رأسه متقبلاً.)
نادية : حتى الآن أرفضك بوصفك نوع من الرجوع للوراء يا دنيس.
داتون : أهذا صحيح ؟
نادية : بكل السُبل.
داتون : إنني لا أفهم لماذا ؟
نادية : أنت تدخل عالم المال أهذا صحيح ؟ عالم المال.
داتون : إنني سألتحق بأعمال والدي.
نادية : ربما يكون هذا جهلاً مني، ولكنى لا أعتقد أن هذا العالم سيكون مختلفاً عن غيره. إن أهم شيء يمكنك وضعه في الاعتبار هو عقلية متفتحة.
(ينظر إلىها داتون لحظة.)
داتون : لماذا ؟ لماذا أنا بحاجه لعقل منفتح ؟
نادية : ولمَ لا ؟
داتون: إن أعداءنا ليس لديهم عقول متفتحة.

المشهد الثالث

(حديقة تطل علي الريف الإنجليزى بويلز. توجد شجرة، واليوم مشمس يشع بالسعادة، كما يوجد كراسى من القماش، وبقايا من طعام الإفطار. أوليفر وفيليب إنجليزيان يرتديان قمصاناً. فيليب لوكس في أوائل الثلاثينيات من عمره، وهو وسيم بدرجة ملحوظة.)
أوليفر : لذا قل لي القليل. قل لي القليل كى أعرف شيئا ما عنها قبل مقابلتها.
فيليب : بالإضافة إلى أنها جميلة وذكية ؟
أوليفر : بالإضافة إلى ذلك، نعم.
(يبتسم فيليب، وهو يفكر فيها.)

فيليب : حسنا. إن أول مرة قابلتها كانت تحمل كتابا بعنوان : بادو سِيكلوجى بادو سيكوز *pas de psychologie, pas de psychose*

أوليفر : ما معني ذلك ؟

فيليب : لا علم نفس ولا ذهان.

أوليفر : لا، إني أعرف ما تعنيه الكلمات. إني أعرف معناها، فأنا لست بالأبله. أقصد اختيار ذلك الكتاب.

فيليب : تماماً يا أبي.

أوليفر : إن هذا ما أسأل عنه، ماذا كان يعني هذا ؟

(يفكر فيليب للحظة.)

فيليب : حسناً، فكما تعلم فإن نادية تُدرس في ييل...

أوليفر : أعرف هذا...

فيليب : من الواضح أنها كانت تحاول أن تقول: أنها ليست مهتمة بعلم النفس.

أوليفر : أفهم هذا.

فيليب : فهي لديها رعب منه، وأعتقد أن هذا نهج مثير.

أوليفر : لماذا ؟ لماذا تعتقد ذلك ؟

فيليب : أوه، لأن الشيء الأول الذي تلاحظه يصبح وسيلة حياة، فالناس يتم تعليمهم أن يقولوا "أظن ، أشعر" فهم يتحدثون طوال الوقت كما لو كان لا يوجد شيء مثل الحقيقة.

أوليفر : حقاً ؟

فيليب : أو بالأحرى : يعرفون أن الحقيقة موجودة، فهم يعرفون أنها موجودة غير أنهم لا يتمالكون أنفسهم من الاعتقاد بأن ما يشعرون به تجاهها أكثر أهمية إلى حدٍ ما.

أوليفر : أتتحدث عن الأمريكان ؟

فيليب : ليس فقط الأمريكان، ولكن اتضح لي هذا بعد قضاء وقت هناك.

أوليفر : ماذا لاحظت ؟

فيليب : في العمل ربما تكتب تقريرا عن حدث تقول فيه "الناس يموتون"، وتكون أول استجابة "حقاً ؟ أهم يموتون؟ ماهو شعورك ؟".

أوليفر : إن هذا مضحك.

فيليب : بلي، ولكن هذا انحطاط، أليس كذلك ؟ كما لو كان العالم ليس مهما، ولكن المهم فقط هو رد فعلك.

(ينظر إليه أوليفر للحظة.)

أوليفير : هاه.

فيليب : سوف أعطيك مثالا، فلننظر ليوغوسلافيا فيما مضى.

أوليفر : نعم.

فيليب : لقد أخبرتني نادية عن أول مرة خرجت فيها هناك، فقالت لشخص ما "أعتقد أن هذا مهم حقاً." عندئذٍ نظر الشخص إليها وقال "هل لاحظتي أنكِ تبدين عاطفيه جداً يا نادية ؟ هل توقفتي وسألتي نفسك لماذا ؟ كل هذا الاهتمام ببؤر التوتر الأجنبية، ألم تفكري أبداً أنه قد يكون هناك مبرر ؟ ألم يخطر ببالك أبدا أنكِ ربما تهربين من مشكلة في حياتك الخاصة ؟ "

(يبتسم فيليب علي سخافة السؤال.)

أوليفر : حسنا.

فيليب : حسنا، لماذا ؟

أوليفر : كيف ردت نادية ؟ هل لدي نادية مشاكل ؟

فيليب : لا أظن هذا. ليس لأنها حكت لي عنها.

(يبتسم كلاهما.)
فيليب : لا بالعكس أجابت نادية "أنا لن أذهب ليوغوسلافيا لأن هناك شيئا خطأ في، فأنا سوف أذهب لأن هناك شيئا خطأ في يوغوسلافيا، وهو ما يسمى بالتطهير العرقى، وهو موجود ."
(يضحك فيليب.)
فيليب : هذا جنون، هذا سخيف، أليس كذلك ؟
أوليفر : لكي أكون أميناً معك، فأنا لا أستطيع تخيل هذا.
فيليب : ولمَ لا.
أوليفر : لأن الناس الذين يحتاجونني، يحتاجونني بالتأكيد.
(تدخل نادية إلى الحديقة.)
فيليب : أه، ها أنت.
أوليفر : صباح الخير.
(تمد نادية يدها.)
نادية : أهلا.
أوليفر : أنا أوليفر.
نادية : أنا أسفة لقد استغرقت في النوم.
فيليب : لا بأس، فكلنا بخير.
نادية : أعتقد ذلك.
(يقف الثلاثة لحظة مرتبكين.)
فيليب : حسنا...
أوليفر : دعيني - صحيح – أن أعطيكِ فكرة، هل فسر أي أحدٍ لكِ هذا ؟
نادية : لا.
أوليفر : هذا بلد الحدود، فمِن تلك الناحية البحر، ومن تلك الناحية الجنوب.
نادية : تجاه الشمس.
أوليفر : بالضبط.
نادية : يا إلهي لقد استغرقت في النوم حقاً.
فيليب : إنها ليست عادتك.
نادية : نعم إنها ليست عادتي.
فيليب : فدائماً ما تستيقظين مبكراً جداً.
أوليفر : لقد قدتِ السيارة طوال الليل لذا لا أعرف كم رأيتِ، ففيليب يقول أنكِ سافرت فقط لإنجلترا مرة واحدة من قبل.
فيليب : لحضور مؤتمر.
نادية : في تشات هام كان مؤتمر عن العلاقات الدولية، وكان مؤتمرا موجزاً.
(ينظر إليها أوليفر لحظة.)
أوليفر : أعذريني لحظة، فسوف أعد لكِ علي الأقل كوبا من القهوة.
(يخرج أوليفر.)
نادية : يا للجحيم إنى عصبية لم أكن لأتوقع أن أكون عصبية، فلست معتادة علي هذا، فأنا عادةً في موقع المسئولية.
فيليب : ولم تكونين عصبية. إنكِ كنتِ مضطرة لمقابلته في وقت ما.
نادية : بالتأكيد، ذكرني فقط لماذا كنت مضطرة لمقابلته ؟
فيليب : إنكِ بحاجة لمقابلة كليهما.
نادية : إنك لست عصبيا.
(يبتسم فيليب.)

نادية : أحب هدوءك. أتمنى أن يكون لدى هدوءك ليس فقط اليوم، وإنما دائما.
(يقبلها فيليب.)
فيليب : صباح الخير.
نادية : هل لدى أي فرصة لاستعارة هدوءك ؟
(يعود أوليفر.)
أوليفر : لقد حاول فيليب أن يخبرني عن طبيعة عملك، ولكنني لا أستطيع القول بأنني أفهم هذا فهماً تاماً.
نادية : لست متأكدة أني أفهم ذلك أيضاً.
فيليب : هل أعددت القهوة ؟
أوليفر : نعم إنها طازجة.
فيليب : سوف أحضر لكِ شيئا ما تأكلينه ؟
نادية : أوه...
فيليب : لا، حقاً.
أوليفر : هل تحتاج مساعدتي ؟
فيليب : لا، فأنا أعرف مكان كل شيء.
(يخرج فيليب مبتسما.)
أوليفر : إذاً قولي لي من فضلك، فأنا لن أسأل إذا لم أكن أريد أن أعرف.
نادية : حسناً، إذاً.
أوليفر : أشكرك.
نادية : في أبسط صورة : عندما تصل من المريخ، فإن أول ما تلاحظ هو أن عُشر الكوكب يعمل بكفاءة، والتسعة أعشار الأخرى تعمل بكفاءة أقل.
أوليفر : أهذا هو المكان الذي تبدئين منه ؟
نادية : هذا هو المعروف، أليس كذلك ؟ إنها حقيقة مصدرها المريخ كما يبدو الأمر. أنا أتذكر في وقت مبكر جداً عندما كنت في الصف العاشر. كنت أعتقد أن نصف العالم يعيش علي أقل من دولارين في اليوم بينما لا يستطيع واحد وثلاثة من عشرة بليون أن يحصلوا علي ماء نظيف، وبليونان لا يحصلون علي كهرباء، وثلاثة بلايين ليس لديهم صرف صحى، وكنت أقول لنفسى لمَ لا يتحدث الناس عن هذا طوال الوقت ؟
أوليفر : الصف العاشر ؟ هذا...
نادية : كنت أبلغ من العمر حوالى خمسة عشر عاماً.
أوليفر : آه، نعم.
نادية : ولكن كان الأمر يبدو صادماً جداً. كنت أقضى الكثير من الوقت في الفصل أقرأ – لا أدري - أدب العصور الوسطي و أحل حساب المثلثات، وطوال الوقت –
أوليفر : نعم.
نادية : هذه حقائق كبيرة والحقائق الكبيرة لا يتم دراستها، وإنما يتم تجاهلها.
(ينظر إليها أوليفر ممعناً التفكير.)
نادية : بالطبع، والآن وبعد سنوات كثيرة مضت إنى أقر أن عملي يتطرق بطريقة مباشرة أقل إلى هذه الفوارق، أو فقط بشكل غير مباشر.
أوليفر : ولكن ما الدافع ؟
نادية : أجل.
(تبتسم نادية.)
نادية : إنى مندهشة لاهتمام عدد قليل جداً من الناس.

أوليفر : تماماً.
نادية : وتظن أنك لكي تكون حياً معناه أنك تريد أن تعرف لم يعيش أناس كثيرون جداً في مثل هذا الفقر، ولم يعيش القليل جداً في حالة من اليسر، وما الذي يمكننا فعله في مثل هذه الحالة ؟
(ينظر إلىها أوليفر للحظة.)
أوليفر : ولكن بالتحديد...
نادية : أجل ؟
أوليفر : لقد اقترح فيليب...
نادية : أجل ؟
أوليفر : إذاً، فمجال تخصصك الآن هو العلاقات الدولية ؟
نادية : هذا صحيح.
أوليفر : بؤرة اهتمامك المحددة.
نادية : مجالي.
أوليفر : تهتمين بالتحديد بالإرهاب.
نادية : أوه، لا، ليس "بالتحديد".
أوليفر : إن فيليب يقول أنكِ معروفة بأستاذة الإرهاب.
نادية : حسناً، هذا يكون أحياناً فقط في وسائل الإعلام، وبين القليل من طلابي الأغبياء.
أوليفر : ألديكِ طلاب أغبياء ؟
نادية : يؤسفني أن يكون لدي، أو علي الأقل كنت أظن ذلك قبل أن أرحل.
أوليفر : لماذا ؟ لماذا قبل أن ترحلين ؟
نادية : أوه، إن شيئاً ما قد حدث، فطالباً يا إلهي جعلني أعتقد هذا.
(تبتسم نادية.)
أوليفر : ولكنكِ كتبتِ عن الإرهاب.
نادية : بالطبع، فالكل يكتب ولا يمكنك أن تفعل ما تفعله وألا تكون مفتوناً به.
(ينتظرها أوليفر كي تستمر.)
نادية : حسناً، وببساطة فإنك لو سألت يمكنك القول: إذا أردت أن تعبر عن الأمر بهذه الطريقة، فإن الإرهاب قد يكون هو الإجابة الخاطئة علي السؤال الصحيح.
أوليفر : وما هذا السؤال ؟
نادية : حسناً، كنت ومازلت أعتقد أن الإرهاب هو هجوم علي الحداثة، أليس كذلك ؟
أوليفر : أهو هجوم علي الحداثة ؟
نادية : أليس الإرهاب بمعني ما هجوم علي العالم الحديث، علي شعور بعض الناس إلى ماوصل العالم إليه ؟
أوليفر : لم أكن متأكداً أبداً قولي لي ماتعنيه "الحداثة".
نادية : عادةً هي تعني أن البشر يشعرون بعدم القناعة، ويشعرون بالضياع في العالم – إذا لم يكن هناك شيء إلا العالم، ويظنون أن المذهب المادي لابد وأنه مذهب خاطئ.
(تغير نادية الموضوع.)
نادية : بالطبع - انظر ، لا أقصد إهانتك – إن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك...
أوليفر : بالطبع...
نادية : والدافع الفعلي...
أوليفر : أجل...
نادية : ... إن اللحظة التي يحمل فيها فرد سلاحاً، أو يصنع مفرقعات – تلك اللحظة مازالت غامضة جداً، ويدعي الناس أنهم يفهمون ذلك، ولكن هل يفهمون ؟ إنى بالتأكيد لا أفهم، ولكن وراء تلك الرغبة غالباً ما نجد نفس الاستياء : أقصد الاقتناع بأن المذهب المادي ليس كافياً.

أوليفر : وهل هذا ما تعتقدين ؟
نادية : إن الناس الذين يلومون المذهب المادي يلومونه لأنهم يشعرون أنه لا يدعمهم، ويمكنك القول بأن هذا حقيقي : فالمذهب المادي بحكم تعريفه ليس مذهباً بطولياً، ففي الغرب لم نعد نكافئ البطولة، فالناس لم يعودوا يريدون القيام بأشياء خطرة أو بارزة إن كل ما يريدونه أن يعيشوا طويلاً ومرتاحين بقدر المستطاع، وهكذا فإن المذهب الأخلاقي الغربي الجديد للبقاء هو ببساطة البقاء علي قيد الحياة كإنسان – مجرد البقاء فقط – كما لو كان العالم هو كل شيء، وطريقة عيشك فيه تأتي في المرتبة الثانية – ويبدو هذا للآخرين وللثقافات الأخري شيء منحط.
أوليفر : هل أنتِ موافقة علي هذا؟
نادية : أنا ؟
أوليفر : هل تلك هي وجهة نظرك ؟ أتشعرين بهذا ؟
(تنظر إليه نادية للحظة.)
نادية : لا أدري، ولكن سواء أكنت أوافق أو لا أوافق، فإن الإجابة هي ليست العنف.
(يظهر فيليب في الحديقة.)
فيليب : أعتقد أنكِ تريدين شراباً.
نادية : نعم من فضلك.
فيليب : عسل أو مربي ؟
نادية : عسل، لا أريد مربي أريد عسلا.
فيليب : سوف أحضر الاثنين.
(يخرج فيليب، وتتذكر نادية بعد أن يخرج.)
نادية : أشكرك يا حبيبي.
أوليفر : في الواقع أنا أدخل علي موقع الويب الخاص بكِ بدافع من حب الاستطلاع.
نادية : أوه، حقاً...
أوليفر : إنه يوفر قائمة بالموضوعات التي يمكن التحدث معكِ فيها.
نادية : هذا نوع من الدعاية. إن هذا مخز، ولكنك مضطر لفعله.
أوليفر : هل أنت مضطرة ؟
نادية : بالتأكيد.
أوليفر : ولمَ هذا ؟
نادية : أن تصبح أكاديميا لم يعد يعني تماماً ما كان يعنيه، فنحن نجد أنفسنا نفعل كل أنواع الأشياء.
أوليفر : أعي هذا.
نادية : وحتماً. نعم، إني أتحدث لوسائل الإعلام.
أوليفر : أتستفيدين من ذلك ؟
(تنظر نادية للحظة متصيدة نقداً.)
نادية : لقد ذكرت في وقت سابق الامتياز ؟ وامتيازي الخاص هو أن أُعرف وظيفتي بطريقتي.
أوليفر : هل أنتي حرة في أن تفعلي ذلك ؟
نادية : هذا كل ما في الأمر.
أوليفر : حرة في أن تفعلي ما تشائين ؟
نادية : لا أكثر ولا أقل، لقد كانت الجامعة كريمة جداً.
أوليفر : نظراً لمكانتك ؟
نادية : لو اخترت التعبير عنها بتلك الطريقة، فإني بالكاد أدرس، وأعقد بعض الندوات. فأنا أكتب فى المقام الأول.

أوليفر : لقد قال فيليب لي هذا.
نادية :كتبت كتاباً من قبل، وأكتب آخر في الطريق، وقد يكون هذا دراسة جديدة نسبياً أو بمعني أدق دراسة قديمة تم تغيرها، هل أشعرك بالملل ؟
أوليفر : لا.
نادية : دعنى أعرف إذا كنت مصدر ملل بالنسبة لك.
أوليفر : إنكِ لا تشعرينني بالملل.
نادية : طالما كان لدينا قوتان عظميان، قوتان عظميان بينهما شيء ما من التوازن حينئذ بدا أن هناك إجراء – مهما كان هذا الإجراء غير كافٍ، ومهما كان معيباً – لحسم أمور العالم.
أوليفر : الآن هناك قوة واحدة فقط.
نادية : بالضبط، لذا نظراً لعدم التوازن هذا – بلد قوي بينما البلدان الأخري لا حول لها ولا قوة – فإن قضايا العدالة الدولية صارت أكثر تعقيداً، وأصبح مجال دراستي أكثر حيوية.
أوليفر : ولاسيما بعد العراق.
نادية : كما تقول. نعم، ولاسيما بعد العراق.
(تنظر نادية مرة ثانية محاولة حساب أجندته، وحينئذٍ تنهض وتتحرك لتلقي بنظرة علي التلال.)
نادية : إنني لم أري كثيراً ليلة أمس، ولكن لم يكن هذا ما كنت أتوقع.
أوليفر : هذا المكان؟
نادية : أجل.
أوليفر : كيف ؟
نادية : علمت أنك تعيش بمفردك، ولكن حتى بالرغم من هذا.
أوليفر : نعم أعيش بمفردي.
نادية : هل هذا اختيارك ؟
أوليفر : حسناً، هذا المكان لم يكن فرصة، أليس كذلك ؟
نادية : كيف تنطقه ؟
أوليفر : شروزبرى.
(يبتسمان معاً.)
أوليفر : أتيت إلى هنا منذ أكثر من عشر سنوات.
نادية : أهي مدة طويلة إلى هذا الحد ؟ ولا تبالى ؟ ولا تبالى العزلة ؟
أوليفر : كان فيليب بالفعل بدأ ممارسة عمله، فقد رحل وترك المنزل.
نادية : هل ربته والدته ؟
أوليفر : من الناحية الرسمية. نعم، ولكنني أديت دوري، ألم تقابليها حتى الآن ؟
نادية : لا، لا. لم أقابلها، فهو يريدني أن أقابلها.
(يلتفت أوليفر من حوله.)
أوليفر : ليس هناك نقاط كثيرة متروكة حيث تستطيعين أن تدوري ثلاثمائة وستين درجة ولا ترين مبنى واحداً.
نادية : لقد خرجت عن موضوعك.
أوليفر : في فرنسا يستخدمون هذا التعبير : إن هذا به غموض.
نادية : إنى مرتبكة إنى لا أتحدث الفرنسية.
أوليفر : ألا تتحدثينها ؟ إني مندهش.
نادية : لماذا ؟ لماذا يدهشك هذا ؟
أوليفر : أوه، شيئاً ما قاله فيليب.
نادية : ما هو؟
(يمتنع أوليفر عن الإجابة.)

نادية : لا قُل.
أوليفر : لا علم نفس ولا ذهان.
(تمر لحظة، وتبدو نادية غير مسرورة.)
نادية : هل قال لك هذا ؟ لماذا قال لك هذا ؟
أوليفر : أنا أسف، هل تخطيت حدودي ؟
نادية : لا، لا، لا.
أوليفر : من فضلك، إنى لم أقصد مضايقتكِ.
نادية : إنك لم تضايقني.
أوليفر : صادف وسألته عن كيف تقابلتما، هذا كل ما في الأمر.
(تلتفت نادية بعيداً.)
نادية : إن هذا شيء أحمق، فلم أريد أن تظل الأشياء الخاصة خاصة ؟
(يعود فيليب بالقهوة والشراب لنادية.)
فيليب : هل أنتما علي ما يرام ؟
نادية : نعم، أشكرك.
أوليفر : بخير.
(تأخذ نادية إفطارها منه.)
نادية : من الواضح أنك أنت وأباك تحدثتما بينما كنت نائمة.
فيليب : أوه. لم نتحدث كثيراً.
أوليفر : لا.
فيليب : تحدثنا قليلاً جداً في الواقع.
أوليفر : إن فيليب واحد من هؤلاء الناس الذين يجدون السلام في الصمت.
فيليب : إن الصمت لا يزعجني أبداً.
أوليفر : لو أن العالم يمكن تقسيمه إلى هؤلاء الذين بحاجة إلى حديث، والذين ليسوا بحاجة.
فيليب : يتحدث الناس فقط لأنهم عصبيون.
أوليفر : هذا مضحك، فهناك طبيب في المستشفي متخصص في الأنف والأذن والحنجرة مشهور بترديده في الكلام ، فعندما يسأله مريض"ما هي فرصي في الشفاء يا دكتور ؟" يجيب "حسنا"... ثم يتوقف.
(يتوقف أوليفر ليستريح.)
أوليفر : فإن لم يمت المريض من المرض، فإنه يموت من القلق.
نادية : وأنت ؟
أوليفر : وأنا ؟
نادية : كيف تتصرف ؟
أوليفر : أوه، بعطفٍ معقول علي ما أمل، ففي وقت مبكر علموني شيئا ما أحاول ألا أنساه.
نادية : ما هذا ؟
أوليفر : تعريف كلمة طبيب.
نادية : لم أسمع بهذا أبداً، أحكي لي .
أوليفر : الطبيب هو شخص يصارحكِ بالحقيقة، ويظل معكِ حتى النهاية.
(تكف نادية عن الأكل، وتنظر إليه مباشرةً.)
أوليفر : إن هذا ليس سيء، أليس كذلك ؟
نادية : لا ليس سيئاً.
أوليفر : إن هذا شيء جيد جداً، أليس كذلك ؟

(يغير فيليب الموضوع غير متأكد مما يحدث.)
فيليب : أنحن ذاهبون للمدينة ؟ أود أن أُري نادية المدينة.
(لا يلاحظ أوليفر ما يحدث.)
أوليفر : لقد كانت نادية تشرح كيف تغيرت الأمور بالنسبة للأكاديميين، أقصد الدور العام للأكاديميين.
نادية : يبدو والدك كما لو كان غير موافق.
أوليفر : لا البتة.
نادية : كما لو كان أمراً سوقياً.
أوليفر : ليس سوقياً. لا، فلدي فكرتي عما هو مهنى، فهناك متطلبان هما: أن تكوني موضوعية وحكيمة.
نادية : أمل أن أكون كليهما.
(ينظر إليها أوليفر لحظة.)
أوليفر : ذكر فيليب... ذكر فيليب أن الرئيس قد طلب مقابلتك.
نادية : نعم طلب مقابلتي، فصدق أو لا تصدق فقد طلب مقابلتي.
أوليفر : ذهبتِ إلى البيت الأبيض ؟
نادية : نعم ذهبت.
أوليفر : يا إلهي.
نادية : إني أعلم.
أوليفر : ولماذا أراد مقابلتك ؟
نادية : أوه، يمكنك أن تتصور.
أوليفر : بالطبع لا، فليس لدي أي فكرة.
نادية : أراد مقابلتي، كان يريد المشورة.
أوليفر : وكنتِ قادرة علي تقديمها.
(لا تجيب نادية.)
أوليفر : بخصوص العراق.
نادية : نعم كان يعرف إنني قد كتبت عن العراق.
أوليفر : من الواضح أنكِ كنت مؤيدة، كنت مؤيدة للغزو.
نادية : التحرير نعم. نعم، كنت مؤيدة للتحرير. لا أعتقد أن الرئيس كان سيسألني لو كنت لا أؤيد التحرير.
أوليفر : لا.
(يبتسم كليهما.)
نادية : أياً كان ما تعتقد، وأياً كانت وجهة نظرك، فإني أود أن أقول: إن هذا كان أمراً لا يمكن إنكاره.
أوليفر : بالنسبة لك؟
نادية : لا، فأنا لا أتحدث من منطلق شخصي. إني أتحدث عن الدخول إلى البيت الأبيض إنه أمر مثير للإعجاب، يتم أخذك من فندقك في سيارة سوداء ذات نوافذ حاجبة للضوء، وبعد خمس دقائق تجد نفسك واقفا علي سجادة في مكتب الرئاسة.
أوليفر : أهذا مسرح ؟
نادية : هذا صحيح. إنه مسرح.
(تنظر لأسفل وهي مرتبكة بعض الشيء.)
نادية : وأيضاً في بلدنا إنه ليس فقط الشخص بل المكتب هو المهم.
أوليفر : فهو الرئيس.

نادية : في أمريكا... مازال هذا يعنى شيئا ما.
أوليفر : تماماً.
نادية : إنه حقاً يعني شيئا ما ،هل أبدو ساذجة ؟
أوليفر : لا أعتقد هذا.
نادية : لأن مما يقوله الناس لي، فإن الأمر ليس نفس الشيء هنا.
أوليفر : ليس إلى أدني حد.
نادية : ولم هذا ؟
أوليفر : من الصعب تفسير هذا، ولكن ربما أكون تقليديا.
فيليب : إن أبي تقليدي جداً.
نادية : كيف ؟
(يبتسم فيليب متفادياً الرد علي السؤال.)
فيليب : لقد تركت هذا البلد، أتذكر ؟
أوليفر : بلا شك إنكِ تشعرين أن الرئيس إذا اتصل بكِ فعليكِ الرد عليه أما إذا اتصل بي رئيس الوزراء، فسوف أترك الهاتف يضرب دون رد. هذا هو الفرق.
فيليب : هذا حقيقي.
أوليفر : والأكثر من هذا أن السياسة في هذه البلد تظل هي السياسة – بمعني أن كل شيء، كل شيء - فرئيس وزرائي لن يتصل بى في المقام الأول.
فيليب : هذا حقيقي، بالتأكيد.
نادية : هل أنت – إنى لا أعلم كيف أسأل هذا السؤال – فهل أنا سخيفة في أن أسأل هذا ؟
أوليفر : إسألى.
نادية : لماذاالايوجد مفهوم للولاء القومى لدى أي أحد هنا ؟ بوصفه جزءً من الأمة ؟
أوليفر : أوه.
نادية : حسناً.
أوليفر : لا أعرف كيفية الرد، فمثل معظم الناس لدى زر مكتوب عليه "الوطنية" ولكن – دعينى أقول – إنى أدقق بشأن من أسمح له بضغطه بالتأكيد ليس السياسيين وبالتأكيد ليست الملكة.
نادية : من إذاً ؟
أوليفر : أوه، فكما تعرفين شعراء مثل بليك و ويلفريد أوين.
(يعم الصمت، ولا أحد يتحرك.)
أوليفر : إن نداء الوطنية هو تناقض في المصطلحات، ولاسيما عندما يدعو إليه الساسة، فأنت لا يمكنك أن تدعو للوطنية أكثر مما يمكنك الدعاء للحب، فربما تشعرين بذلك ولكن لا يمكنكِ أن تطلبيه. ويلفريد أوين، نعم. سبعة وخمسون ألف مصاب بريطاني في صباح اليوم الأول من معركة السوم من قِبل مجموعة سياسية لا ترحم، وليس لها صلة بالواقع في عصرها، رجال ليس لديهم خبرة مباشرة بالحرب، ولا معرفة بحقيقتها يرسلون عمالا عاديين يحاربون نيابةً عنهم. أهلاً ؟ إن هذا من الصعب تفسيره، ومن المستحيل تبريره، ويكفي رجل واحد – رجل واحد عظيم - لشرح هذا الحدث.
(يبتسم فيليب لنفسه.)
فيليب : إن أبي يحب قصيدة "مسدسات الجنس" أيضاً.
أوليفر : أقر هذا.
فيليب : السبب نفسه.
أوليفر : لسبب مشابه.
فيليب : تماماً...

أوليفر : ليس للسبب نفسه.
فيليب : تماماً.
أوليفر : لا تجعلني أبدو غبياً، ولكنى أحب قصيدة "مسدسات الجنس".
(أوليفر يستريح وهو غير متحفظ.)
أوليفر : إن السلاح الوطني الوحيد الذي مازال يعمل في هذا البلد هي تلك المجموعة الخرقاء، ففي الولايات المتحدة تبنون إمبراطورية، وتذكرى أننا فككنا واحدة، عندما كان فيليب صغيراً أتذكره وهو يقول: أنه يود أن يكون مستهتراً أو مهاجراً؛ لأنه حينئذ سيحس بالانتماء، كان يريد قبيلة.
نادية : أليس الطب قبيلة ؟
أوليفر : اعتاد أن يكون الطب قبيلة، ولكنه الآن مستقل. لقد كنا – ما هي الكلمة ؟ - نستعين بمصادر خارجية، فالساسة يفككون المجتمعات ثم يشكون أن المجتمع لم يعد موجودا، فهم ينشرون المرض ثم يعترفون بأنهم يُصدمون عند إصابة الناس به "أوه، لمَ لا يستطيع الناس التصرف ؟" حسناً، لمَ لا يستطيعون ؟ إن هذا السؤال جيد عندما يصبح الناس الذين يضعون القانون لا يلتزمون به، ما الذي يمكنك فعله ؟ كيف يمكن للسياسيين أن يقودوا دون ضرب مثل في القيادة ؟
(تبتسم نادية مستسلمة.)
نادية : لديك معيار رفيع.
أوليفر : أعتقد ذلك.
نادية : لو أنك تتحدث عما أعتقد.
فيليب : لا، أعتقد أن هناك شكا كبيرا، أليس كذلك ؟
أوليفر : لا أعتقد أن هناك شكاً.
فيليب : هذه مناسبة معقولة بطريقة أو بأخرى، فلقد عاد أبي إلى موضوع العراق.
أوليفر : وكيف عرفت ذلك ؟
نادية : أوه، إنى أفهم.
فيليب : فعادةً ما يفعل.
أوليفر : "عادةً "؟
فيليب : حسناً...
أوليفر : لا أعتقد يا فيليب أنك في وضع يؤهلك لأن تقول "عادةً".
فيليب : أنا موافق، فأنا لست في هذا الوضع.
أوليفر : أتقول "عادةً" في الوقت الذي لا تراني فيه أبداً ؟
فيليب : حسناً...
أوليفر : ليس فقط لا تراني، ولكن بالكاد تتحدث، إنك حتى لا تتحدث لي.
فيليب : وخطأ من هذا ؟
أوليفر : إنى أعلم. أنا كنت فقط أقول بالرغم من كل هذا.
(صمت يصاحبه انفعال، وتضع نادية طبقها جانباً.)
نادية : حسناً، هذه هي اللحظة المناسبة لنبدأ رحلتنا لشروزبرى.
أوليفر : ربما تكون.
(يبتسمون لبعضهم البعض.)
نادية : صدقني لو هذا ما تريد، فإنه يسعدني مناقشة موضوع العراق.
أوليفر : إنى لا أطلب هذا.
نادية : سوف أناقشها الليلة إن أردت.
أوليفر : إنني لا أصر.

نادية : لقد ناقشتها يومياً طوال الثلاثة أعوام الأخيرة، فلم أعتقد إن قضاء أجازة في إنجلترا سيكون بمثابة أجازة من الجدل ؟

أوليفر : تماماً...

نادية : فلماذا يكون اليوم مختلفاً ؟

(تنهض نادية، وتلتفت بشكل رسمى.)

نادية : دون شك، يمكنك أن تتخيل إنني تلقيت كمية كبيرة من المعارضة.

أوليفر : أنا متأكد.

نادية : فحتى في كونيتيكت المتحررة لم يكن الدفاع عن الحرب موقفا شعبياً.

أوليفر : ولم يكن مهما في شروبشاير أيضاً.

نادية : إذا كنت مهتما، فإنني واضحة تماماً بشأن تأييدى لها، كما أنى واضحة أيضاً بشأن ما حدث من أخطاء، ولا أظن أن الفوضى التي تلت تبطل القرار الأصلي، فلقد كنت أؤيد دائماً ومازلت التدخل الإنسانى في بلدان تحدث فيها أشياء بشعة. إني أؤمن بهذا من كل قلبى، فلو كان الاختيار بين التدخل أو الامتناع، والاكتفاء بمشاهدة الدكتاتوريين وهم يمزقون شعوبهم، فإنى إذاً أؤيد التدخل، فأنا كنت مراسلة قبل أن أكون أكاديمية، لقد كنت في هذه الأماكن لقد رأيت المعاناة – علي الأرض، وكنت موجودة في مواقف لم يفعل فيها الغرب شيئاً، ورأيت نتائج لا مبالاتنا، ولذا فإنك لو أردتنى أن أقضى مسائى هذا في الدفاع عن حق البلدان الغربية في استعراض عضلاتهم لتحرير العرب من القتل الممنهج، صدقنى، إني مستعدة لذلك.

أوليفر : إنى متأكد أنكِ مستعدة.

نادية : أفترض أنك كنت ضد الحرب ؟

أوليفر : بشدة.

نادية : من البداية ؟

أوليفر : دعينا نقول: أنني كنت أعلم من سيكون الجراح، وكان لدى تصور معقول عن كيف سيكون شكل العملية مستقبلا.

(ينهض أوليفر.)

أوليفر : من فضلك لا تفهميني خطأ، فإنى لست وقحا.

نادية : أعرف هذا.

أوليفر : على الأقل تجاهكِ أنتِ، تجاهكِ أنتِ من بين كل الناس، يا نادية إنى أشعر بسعادة غامرة أن ابنى قد جلب شخصا مهما إلى المنزل حتى وإن لم يكن منزلاً بالمعنى الصحيح.

(تمر لحظة، ويتحدث أوليفر بهدوء.)

أوليفر : إن كل ما أتمناه هو سعادة فيليب.

نادية : إننا نتمنى الشيء نفسه.

أوليفر : ولو أنكِ تستطيعين المساهمة في هذه السعادة، فعندئذ صدقيني لن يكون هناك ترحيب بأحد أكثر منكِ.

(يعم صمت وجيز.)

نادية : ومع ذلك.

أوليفر : معذرة ؟

نادية : أنا أحس هذا، ومع ذلك.

أوليفر : لا، ليس هناك "مع ذلك".

(ينظران إلى بعضهما البعض لحظة.)

نادية : معذرة، سأحضر أغراضى.

(تغادر نادية المنزل، ويمشى فيليب مبتعداً أما أوليفر فلا يتحرك. تمر بضعة دقائق.)

فيليب : هل يمكنني أن أقول فقط : هذه مسألة ثقة، لقد وثقت فيك !
أوليفر : حسناً ؟
فيليب : يا أبى إنى لست مضطرا لفعل هذا، إننى فعلته لأنني أردت أن أفعله.
أوليفر : وبالتالى ؟
(يعم صمت، ولا يقول أوليفر شيئاً.)
فيليب : إنها غلطتي، فأنا لدي تلك الحاجة السخيفة إلى أسرة.
أوليفر : لماذا سخيفة ؟
فيليب : بصرف النظر عن أي شيء، لأننى الوحيد في الأسرة الذى لديه تلك الحاجة.
أوليفر : إن أمك لديها تلك الحاجة.
(ينظر فيليب إليه نظرة ارتياب.)
فيليب : انظر لنادية فقط ترى من هي ! يمكنك أن تقول من هي ! إنها أفضل ما أهداني القدر في حياتي ! والمفروض ألا أتزوجها لأنك لا توافق على موقفها من العراق ؟
أوليفر : هيا، لم يقل أحدٌ هذا.
فيليب : ألم يقل أحد ؟
أوليفر : لم يعبر عنه أحد بهذا الشكل.
فيليب : إنهم لا يحتاجون إلى هذا، أليس كذلك ؟
أوليفر : وربما لم أكن أنصت، ولكنني لم أسمع أحد يقول "زواج" أيضاً.
(يصمت فيليب، وأوليفر مستمتع بهذا.)
أوليفر : ما الذى كان يجب أن أقوله ؟ ما الخطأ الذى ارتكبته ؟
فيليب : إنك تعرف جيداً جداً.
أوليفر : هل أعرف ؟
فيليب : كان يمكنك أن تكون أكثر ترحاباً بقليل.
أوليفر : ترحاباً ؟
فيليب : نعم.
أوليفر : هيا، لقد كان ترحابا جيداً قديماً يليق بحدود ويلز، ما الذى كان مفقوداً ؟ استحضار الحيل.
(ولكن فيليب قد تحرك بعيداً من ذى قبل.)
فيليب : إنها قالت "سوف أكون سعيدة برؤية عائلة صغيرة" لم يكن هذا بالأمر اليسير، أليس كذلك ؟ لأوضح "أوه تستطيعين مقابلة أبي، ولكن تذكرى هذا هو الرجل الذى دمر حياة والدتي".
أوليفر : أفعلت أنا هذا ؟
فيليب : والآن – ولأسباب لن أفصح عنها – يعيش وحيداً على جانب تل طارداً المستأجرين، أو بالمعنى الأصح طارداً المستأجرين من الذكور.
(يبتسم أوليفر، ولم يحرك ساكناً وهو يستمد لذة من الموقف الذى هو فيه.)
أوليفر : يا فيليب، إن هذا موقف متوتر وغير طبيعى.
فيليب : يمكنك قول هذا.
أوليفر : بالطبع إنه متوتر وغير طبيعى، وسوف يختبر شخصية كل منا إلى أقصى حد.
فيليب : إن هذا مضحك جداً.
أوليفر : ولا أحد منا – حسنا ؟ - لديه خبرة كثيرة بالحياة الأسرية التقليدية.
فيليب : دعنا لا نعطي هذا الموقف أكثر من حجمه.
أوليفر : ولكن، في رأيي، إنك تدع الموقف يستفزك.
(يستريح أوليفر وهو قانع.)
أوليفر : إنك تقول أنها أفضل ما أهداك القدر في حياتك.

فيليب : نعم إنها أفضل ما أعطاني القدر في حياتي.
أوليفر : في تلك الحالة قد تسأل، لماذا تجازف بحظك وتحضرها إلي هنا لمقابلتي ؟
فيليب : بدأت أسأل نفسى هذا.
أوليفر : حسناً إذاً، لما فعلت ذلك ؟
(ينظر إليه فيليب فقط.)
أوليفر : حسناً، في الواقع خذ خطوة للخلف. أعتقد أنك ستجد الأمر كله يسير علي مايرام.
فيليب : أتظن هذا ؟
أوليفر : إنها تستمتع بصحبتي، وتستمتع بفرصة الحديث إلى شخص ما يكون تقريباً في مثل ذكائها.
فيليب : أتقصد عكسي ؟
(ينظر إليه أوليفر نظرة تأنيب.)
أوليفر : انظر يا فيليب إذا كنت تود المشورة...
فيليب : مشورة منك ؟
أوليفر : ... إذاً سأقول – فقط من خلال خبرتي – فأنا لدى خبرة ما بهذا، فمن الناحية الاستراتيجية لن يكون من الفطنة أن تبدي فقدان الثقة بالذات، وأنت في صحبة نادية صدقني لن يكون هذا مفيداً - أعترف أنك تعرفها أكثر منى - ولكن اعتقادي أن نادية بلاى ليست من النوع الذى يتغاضى عن الضعف بسهولة، فهى لا تحبه، هل أنا على حق ؟
(لا يجيب فيليب.)
أوليفر : إن أي أحد يقول: أن علم النفس هو كومة من القمامة – حسناً، إنك تختار أن تسمى هذا الموقف "مثيراً" وأنا أعتقد أن الكلمة الأفضل لوصفه هى "خطيراً" إن هذا كل ما أقول.
فيليب : لقد قلت ما يكفي.
أوليفر : انظر إليها نظرة تجد أنها ليس عندها مشكلة في أن تجذب أي إنسان في الحرم الجامعى.
فيليب : إلى هذا الحد ؟
أوليفر : هكذا اعتقادي إنها اختارتك لأنك تبدو قوياً ،حسناً، إذاً كن قوياً، فلماذا تخيب آمالها ؟ فكما تُعلمنا حكومتنا كن حذراً ولا تكن قلقاً واجه المشكلة، فلن يخفق شيء جاد إن لم تدعه يخفق.
(يعم صمت ينم عن الارتياب.)
فيليب : إننا سنرحل غداً، إننا سنرحل مساء غد.
أوليفر : هذا شيء طيب، إذا فإننا جميعاً سوف ننظر للمسألة بالتدريج ونرى كيف تسير.
(يفحص أوليفر أظافره، وهو يبتسم أما فيليب فهو منزعج من نفسه.)
فيليب : إننى لا أشعر بعدم الثقة عندما أكون في أمريكا.
أوليفر : هذا شيء جيد.
فيليب : أنا أحب الحياة الأمريكية.
أوليفر : أنا واثق أنك تحبها.
فيليب : أحب ملمسها، نسيجها إنه يناسبني، ففي أمريكا أقف ومعى مسكر قوي و منشط وأنظر من النافذة، فأرى الناس وهم ذاهبون إلى مراكز التسوق، فأشعر بالأمل، فسر هذا لى.
أوليفر : لا أستطيع.
فيليب : فالمنظر يؤثر في، هذا جنون، أليس كذلك ؟ عندما يوجد طريق عبر الصحراء، ولا يوجد شيء في الأفق. عندما يسقط ثلج في إنجلترا الجديدة، أنتحب مثل طفل عن مكان لا يعد حتى وطناً.
(ينظر أوليفر إلى أسفل وهو منزعج.)
أوليفر : حسناً، إنه دائماً من اللطيف، أليس كذلك ؟ أن تبتعد عن والديك... وما هو أكثر من ذلك

مع صديقة أمريكية بالرغم مما أقرأ في المجلات، فالسيدات الأمريكيات مطالبهن كثيرة.
(يلتفت فيليب متأرجحاً بين السعادة و الغضب.)
فيليب : أوه، يا إلهي، هل عدت لنفس النغمة مرة ثانية ؟
أوليفر : أحقاً عدت أنا ؟
فيليب : لماذا تفعل هذا ؟ فطوال حياتي، وأنت تفعل نفس الشيء ألم يخبرك أحد ؟ فالأطفال ليس المقصود بهم أن يكونوا مواضع تهكم، إنك تعلم إن هذا ليس هو سبب اختيار معظم الناس للأبوة.
أوليفر : لا، إنك على حق.
فيليب : إن معظم الناس لا يستخدمون أطفالهم لتحسين نكاتهم.
أوليفر : إنى أعلم تماماً.
فيليب : حسناً.
أوليفر : إنك على حق، بالطبع أنت على حق.
فيليب : إنك تبلغ من العمر ثمانية وخمسين عاما، وهذا لا يليق بك.
أوليفر : سأمتنع عن هذا.
(تعود نادية.)
فيليب : أه، ها أنتى. هذا أمر طيب، فأنتي جاهزة سأحضر مفاتيح السيارة.
نادية : لقد أحضرتهم هنا.
(تُخرج نادية المفاتيح.)
نادية : هل ستأتي معنا ؟
أوليفر : لا، استمتعوا أنتم.
(تتردد نادية وهى على وشك الذهاب.)
نادية : كنت أفكر أن شيئاً ما يذكرني بجى بول.جيتى، أتعرف من أقصد ؟
أوليفر : بالطبع.
نادية : إنه أغنى رجل في العالم كنت ومازلت دائماً أحبه لسبب واحد.
أوليفر : وما هذا السبب ؟
نادية : قرأت أنه قبل أن يخرج مع بنت في أول موعد غرامى ، صمم أن تخضع لفحص طبى شامل من قِبل طبيب يختاره هو.
(أوليفر ونادية يبتسمان.)
نادية : الآن هذا ما أسميه رومانسياً.
أوليفر : وأنا كذلك.
نادية : بداية مساء عظيمة.
أوليفر : شيء طيب لمهنتى أيضاً.
نادية : نعم نعم، إن هذا ما كنت أفكر فيه.
(يقف الاثنان، وهما يشعران بالسرور.)
نادية : إلى اللقاء.
أوليفر : إلى اللقاء.

المشهد الرابع

(الحديقة مرة ثانية. بقايا وجبة، ومشغل الأقراص المدمجة مفتوح في المنزل. نادية و فيليب و أوليفر يأكلون على منضدة في ضوء النجوم، ويبدو المنظر ساحراً.)
نادية : يبدو أنه منذ وقت طويل، يبدو وكأنه منذ أمد بعيد. أعتقد أننى لم أكن هناك منذ أكثر من ثمانية أشهر...
أوليفر : أهذا كل شيء ؟

نادية : ربما، ولكنه يبدو مثل نصف عُمرٍ. إنه لحقيقى : أن هناك نوعاً خاصاً من الألفة ينبع من الخطر.

أوليفر : ربما.

نادية : عندما كنا في سراييفو.

(لحظة من الصمت.)

نادية : قد يكون هناك شيء بخصوص كوني صغيرة جداً، معظمنا كانوا صغاراً ولكن عندما تُكوِّن أسرة يصير هذا الأمر صعباً، فإن لم يكن شريكك راغبا في تقبل هذا، فإنك قد تصاب برصاصة في الحلق.

(يشير أوليفر للمشهد من حولهم.)

أوليفر : ألا تستطيعين الجلوس في ضوء النجوم ؟ ألا تستطيعين الأكل خارج المنزل ؟

نادية : لا يمكنك الأكل، فمعظم الليالي كنت مخمورة، كنا جميعا مخمورين.

أوليفر : مخمورون ؟ ماذا تعني "مخمورين".

(صمت مفاجئ، وتنظر إليه.)

نادية : مخمور ؟ مخمور تعني سكرانا.

(يصمتان، ويشاهد فيليب عن عمد.)

نادية : لقد خرجت طوال اليوم في "سيارة بلا غطاء"...

أوليفر : أعيدى ما قلتى مرة ثانية.

نادية : ظننت أن هذا سوف يسليك، هذا هو السبب الذى جعلنى أقول هذا.

أوليفر : كل هذه لغة عامية يستخدمها مراسلوك.

نادية : بلى...

أوليفر : إنكم قبيلة.

نادية : همم.

أوليفر : ماذا تعني "سيارة بلا غطاء" ؟

نادية : "سيارة بلا غطاء" تعنى سيارة بلا سقف، سيارة بلا سقف هذه سيارة عادية مثل السيارة الواقفة هناك.

أوليفر : هكذا ذهبت إلى شروزبرى اليوم...

نادية : نعم.

أوليفر : في سيارة بلا سقف.

نادية : هذا صحيح. إنك تشعر بهذا فقط في سراييفو، إنك تشعر حقاً بهذا لأنك تعرف أن هناك طبقة رقيقة من الصفيح بينك وبين كل شيء بالخارج، وعند العودة إلى الفندق، فإنك تقسم الحجرات، فربما تنام على الأرض وفقا لشخصية كل واحد؛ و ذكاء كل واحد، فأنت تصنع صداقات تستمر مدى الحياة.

(ينتظر أوليفر.)

أوليفر : ولكنكِ توقفتِ.

نادية : أوه، نعم.

أوليفر : لم تعودي تفعلين ذلك، لماذا ؟

نادية : المسألة كلها. الغضب، لقد وجدت نفسي مدمنة.

أوليفر : أدمنتي أيهما؟ الغضب أم أسلوب الحياة ؟

نادية : أدمنت كليهما.

أوليفر : الغضب من ماذا ؟

نادية : الغضب من العالم. لتوقف العالم ومعرفته وعدم تدخله.

(تهز نادية رأسها متذكرة.)

نادية : أيام لا نهاية لها، أيام تقضيها نائما على الأرض دون كهرباء، وتشاهد الناس وهم يموتون بلا هدف بلا مبرر باستثناء كسل العالم وتخمته وإحساسه المدلل بالذات وانبهاره الغبى بحقائب اليد وفقدان الوزن ومن فاز بالمباراة المفتوحة للهواة والمحترفين ومن يلعب الجولف من يبالي ؟ من ذلك الملعون الذى يبالي ؟ أول حرب كبيرة في أوروبا حدثت عام ألف وتسعمائة وخمس وأربعين، ولا يستطيع أحد أن يتذكر أى بلد بدأ الحرب أى بلد كان يحكمها ميلوسيفيتش ،وأى بلد كان يحكمها الرجل الآخر وأيهما كانت كرواتيا، ذكرني ؟ فهل هى البلد المليئة بالمسلمين ؟ أم هى البوسنة ؟ أقصد من نحن ؟ من نحن علينا لعنة الله ؟

(لحظة من الصمت، هل هى مخمورة ؟ يحدق أوليفر بشكل ثابت.)

نادية : لقد قُتل ثلاثمائة ألف في أوروبا.

أوليفر : مازلتِ تشعرين بهذا.

نادية : نعم مازلت أشعر بهذا عندما أتناول بعض المشروبات.

(تدرك نادية أن الكوب في يدها.)

نادية : لقد سمع فيليب بهذا من ذى قبل.

فيليب : إننى لا أبالي.

(يبتسم فيليب قليلاً مؤكداً كلامها.)

نادية : سامحني إنه دواء، فالغضب دواء إني لا أحب هذا الجانب من نفسي.

أوليفر : هل تعتقدين أنه ملفت للانتباه ؟

نادية : أنا لا يهمني إذا كان ملفتاً للانتباه. أنا أبالى فقط بكيفية الشعور، والشعور به ليس ممتعاً.

أوليفر : لماذا ؟

نادية : للسبب الواضح.

أوليفر : ما هذا ؟

نادية : ماذا، هل من المفترض أن أقضي كل وقتي معتقدة أن الكل يخطئ إلا أنا ؟ فالعالم لايبالي، فهو عالم جاهل إلا أنا ؟ من فضلك !

أوليفر : إني أتفهم.

نادية : لا، فالتسكع طوال الوقت لا يسعد أحد إلا إذا كان بالطبع مضطربا عقلياً أو – لا أدرى – أحد من شعرائك.

(تحدق نادية للحظة، وقد هدأت.)

أوليفر : أهذا هو السبب الذى من أجله توقفتي ؟

نادية : لقد ذهبت كمراسلة، وعدت كمحللة.

أوليفر : ربما لم يكن مزاجك على ما يرام.

نادية : ربما.

أوليفر : من الناحية النفسية.

(تنظر نادية بحدة، ويبتسم أوليفر.)

أوليفر : لو استخدمت تلك الكلمة.

نادية : انظر، إن الأمر كان بسيطاً، لقد كان أمراً بسيطاً.

أوليفر : هل كان بسيطاً ؟

نادية : نعم، لا تجعله يبدو معقداً، ففي نهاية المطاف لم أكن خائفة أو منهكة لقد شعرت، يا للعار، أننى كنت أقضي الكثير من وقتِ في الشعور بأنني مستقيمة.

أوليفر : لماذا ؟ لماذا مستقيمة ؟

نادية : أوه، انظر – أياً كان – كنت أتأرجح بين الاستقامة والارتباك "أوه، فأنت مراسل أجنبي كم يبدو هذا رائعاً !" حسناً نعم إنه لمن الرائع أن ينتبه أحد لما تقوله...

أوليفر : نعم.
نادية : فلو أنصت أحد ! فلو فعل أحد شيئاً نظراً لما أرسلت من تقارير.
(ينتظر أوليفر وهو متحفظ.)
أوليفر : ولكنكِ بالطبع كنتِ على حق، فكان من حقك أن تغضبِ، فلمَ تخجلين ؟ إن هؤلاء الناس ماتوا ولم يبالي أحد، فلماذا تعتذرين ؟
(تنظر إليه نادية للحظة، وهى غارقة في التفكير.)
نادية : كانت هناك ليالي شديدة البرودة خالية من أصوات طلقات الأسلحة الرشاشة. إنني لا أعرف كيف تظل الخرسانة ثابتة وبها حفر كثيرة مثل الشعرية. كان هناك جثث – على كل الأشكال والألوان جثث متعفنة في الغابات، في مواقع البناء – عنف لا يتوقف، عنف بلا هدف، ضجيج في رأسك، ولذا فإنك تريد أن تصرخ، وعلى بُعد ثلاثمائة ميل هناك أناس يذهبون للأوبرا، ويستوقفون القوارب ويضحكون، ولا يريدون أن يعرفوا ولا يحتاجون أن يعرفوا لأنهم لا يظنون أن الحرب سوف تقترب منهم.
(يمد أوليفر يده بتحفظ ليمسك بالزجاجة، ويملأ كأسها مرة ثانية وتهز نادية رأسها.)
نادية : حسناً، والآن لقد حاربوا حربهم، وقد تجلب لهم خيراً كثيراً. من الخطأ أن نلومهم، والحقيقة هى أنه كان هناك إرهاب في الثمانينيات أكثر بكثير مما يوجد اليوم، عندما لم يكن يفكر فيه أحد، عندما لم يفكر أحدٌ في شيء أخر. هذه مجرد حقيقة.
(تبتسم نادية مستشعرة الارتياح نتيجة التهكم و تمد يدها لتمسك بيد فيليب.)
نادية : في الواقع لقد ذهبنا – أليس كذلك ؟ - فقد ذهبنا إلى مؤتمر...
أوليفر : وأين كان هذا المؤتمر ؟
نادية : كان في هلسنكي.
فيليب : هلسنكي مكان ممتع.
نادية : لقد جاء فيليب.
فيليب : من أجل المتعة فقط، فقد كنت السيد بلاى.
نادية : نهض رجل في وقت مبكر جداً وقال "لا أحد في هذه الحجرة سيموت من الإرهاب، دعونا نبدأ من هناك، إن احتمال موتكم من ابتلاع دبور أكبر من احتمال موتكم في مواجهة انتحارى".
فيليب : هذا ما قاله.
نادية : لم يجعل نفسه محبوباً، ولا حتى في تلك الصحبة.
(يبتسم كلاهما على الذكرى.)
فيليب : بالفعل تحدثت إليه فيما بعد في الحانة.
نادية : إنك فعلت إنى أتذكر.
فيليب : تناولنا بيرة. إن " فكرة أي مؤتمر " كما قال هى " الشخص الذى يقول الشيء الأكثر غباءً ".
(يبتسم فيليب متوقعاً أن تعلق نادية.)
فيليب : حسناً ربما لم يقل "غبى"...
نادية : أه حسناً، لا...
فيليب : ربما قال "مثيراً" أو "بارزا " أنا لا أعرف.
نادية : "بارزا "، "غبى" - هناك فرق.
فيليب : على أية حال إننا نعرف ما كان يقصده لقد قال "ها هى الحياة الفكرية في الغرب" وكان مصرياً وقال "تلك الطريقة التى تكتسب بها الشهرة" "فالمسألة كلها لعبة".
(يبدو أن نادية لا توافق على هذا.)

فيليب : إن هذا ليس اعتقادى يا حلوة، إنه فقط ما قاله.
(تضحك نادية وتسامح فيليب.)
نادية : إن هذا مضحك لقد كانت عطلة نهاية أسبوع مضحكة منذ البداية. لقد ارتكبت هذا الخطأ الغبى...
فيليب : أنا لا أبالى.
نادية : لقد وعدت فيليب أننى لن أفعل ذلك ثانيةً.
فيليب : إنهم فقط هؤلاء الناس، فهم ليس لديهم أى فكرة.
أوليفر : أى أناس.
نادية : صادف وأننى ذكرت لأحد ما كان يفعله فيليب من أجل لقمة العيش.
فيليب : نعم.
نادية : حسناً...
فيليب : من الذى كان يصدق أن الكثير من المثقفين لديهم فكرة سيئة ؟
نادية : هذه فكرة سيئة عن كيفية التصرف، فلا أحد منهم إقترب من فيليب في مكان ما في عطلة نهاية الأسبوع.
(تسرع نادية في الكلام وهى مثارة.)
نادية : الناس – أيمكننى أن أقول هذا - ؟
فيليب : بالطبع...
نادية : لديهم فكرة عن العلاج الطبيعى، وكأنه نوعاً من التجارة، وكأنه سباكة، فهم يعاملونه وكأنه نوع ما من الموارد الطبيعية.
فيليب : هذا جهل.
نادية : إننى لم أقابل أبداً طبيب علاج طبيعي حتى قابلت فيليب، ولكن حتى عرفته فإنهم لم يكونوا ذلك النوع من الناس الذين يمكنك إرباكهم، وفي الواقع أقول لك أنه كان يوجد امرأة هناك...
(يلف فيليب عينيه.)
فيليب : أوه يا إلهي !
نادية : حسناً إن هذا ما حدث...
فيليب : إن نادية لا تهتم بالمترددات على عيادتي على أي حال.
نادية : لا أعتقد أن هذا صحيح، لا أعتقد أن هذا صحيح على الإطلاق.
فيليب : ألا تعتقدين ؟
نادية : لا في واقع الأمر إنى لا أعتقد، وأنا لا أعرف لماذا تقول هذا، إنى لا أعرف حقاً.
فيليب : حسناً، دعينا نقول – كيف أعبر عن هذا -
نادية : إنى لا أعرف، كيف ستعبر عنه ؟
فيليب : حسناً، في أحسن الأحوال لا تثق نادية بالمترددات على عيادتى ممن هم في سن معين، و ذوى مظهر معين...
نادية : إن بعضهم لا يتألم كثيراً كما يدعون.
(هذا مجرد مزاح، ولكنه مزاح شائك يراقب أوليفر عن كثب.)
فيليب : على أية حال، بطريقة ما أو بأخرى، فإن هذه المرأة إيطالية.
نادية : إنها جذابة.
فيليب : إنه نوع من حسن المظهر، إنها ممتلئة.
نادية : خبيرة في الجهاد المبكر.
فيليب : فهى تقول "هل يمكنك المجيء إلى حجرتى، وتعالج فقرات ظهرى المتآكلة" ؟
(يرفع فيليب صوته ليستبق رد فعلهم.)

فيليب : أود أن أقول، هل يمكننى أن أقول فقط أن هذه المرأة من الأكاديميين الأوائل في إيطاليا ؟ إنها من أذكى النساء في إيطاليا.

أوليفر : ماذا قلت ؟

فيليب : قلت أنصتى يا سنيورة، ففي واقع الأمر قد لا تصدقين هذا، ولكن في الولايات المتحدة الأمريكية كنت أتقاضي مائتين وخمسين دولارا في الساعة عما أقوم به، وكنت أستحق هذا المبلغ، وعلى أى حال إنني في إجازة لدراسة علم أمراض الإرهاب.

أوليفر : وماذا قالت ؟ وماذا كان ردها على هذا ؟

فيليب : أعتقد أنها كانت مندهشة.

(يبتسم، ولكن نادية تستمر في الكلام أثناء هذا.)

نادية : لقد فهمت ما ترمى إليه هذه المرأة بالفعل.

فيليب : لقد كرهتيها دون مبرر، كرهتيها بشدة.

نادية : أوه، سامحنى، ولكنها كانت واحدة من هؤلاء الليبراليين الذين يكرهون أنفسهم.

أوليفر : أوه، واحدة من هؤلاء.

نادية : "إنه خطأنا، فهم عندهم حق في أن يكرهونا، ولو كنت مكانهم لفعلت ذلك أيضاً" إنك تعرف هذا النوع.

أوليفر : إنى أفعل.

نادية : إنه يغير مظهره فيأتى بكلام معسول، ولكن من الداخل.

(ترفع نادية يدها لتمنعه من الكلام.)

نادية : كن واضحاً، فلو أن ما يقوله الناس هو أنه من واجبنا أن نحاول ونفهم الأشياء من وجهة النظر الأخرى لو يقولون أننا مضطرون إلى فهم ما يدور حولنا كل هذا آنذاك – صدقنى – سأكون معهم مائة في المائة.

أوليفر : ولكن ؟

(ينتظر أوليفر، ولكن نادية لا تريد الإيضاح فتحتسى خمرها.)

أوليفر : ولكن ؟

نادية : ولكن هذا ليس معناه أن ننسى ما نؤمن به، أليس كذلك ؟ إننا نؤمن بشىء ما إننا ندافع عن شىء ما أيضاً، أليس كذلك ؟

(نادية تجذب أوليفر جذباً مباشراً، ويهز أوليفر كتفيه.)

فيليب : إنى لا أعرف، فأنا حقاً لا أعرف ربما كان لديها فكرة سيئة.

نادية : ربما.

فيليب : الحقيقة هى أنه، في أمريكا، أقوم بعمل كل أنواع الأشياء التى ليست طبية بدقة.

أوليفر : أى أنواع الأشياء ؟

فيليب : أفعل ما يريده الناس.

أوليفر : وما الذى يريدونه ؟

فيليب : لا يريدون الممارسة الطبية الدقيقة، إنه ليس الطب التقليدى.

أوليفر : ماذا تقول ؟

فيليب : عليك أن تفهم،أنهم في الولايات المتحدة يهتمون حقاً باللياقة.

أوليفر : اللياقة ؟

فيليب : لابد أن تعرف هذا، فاللياقة يُنظر إليها على أنها أحد العناصر الحيوية للصحة، فهذا ما تقدمه عياداتى.

أوليفر : عياداتك ؟

فيليب : بالتأكيد.

أوليفر : كنت أعتقد أن لديك واحدة، عيادة واحدة.
فيليب : كان لدى، كان لدى واحدة، ألم أخبرك ؟
نادية : الآن فيليب عنده ثلاثة إنه يبلى بلاءً حسناً.
(تبتسم نادية ابتسامة مستفزة، وينظر إليها أوليفر نظرة غير متسامحة.)
فيليب : على أية حال هناك خيط رفيع بين العلاج الطبيعى الرسمى و – لا أدرى – إعطاء المريض إحساساً عاماً بالسعادة.
أوليفر : وماذا يعنى هذا ؟
فيليب : لقد شرحت تواً ما يعنيه هذا ؟
أوليفر : إنها ليست الممارسة الطبية الدقيقة إنك تقول إنه ليس الطب التقليدى حسنا، إذاً، ما هو ؟ ماذا تقدم ؟ أعطنى مثالاً بعيداً عن العلاج الطبيعى.
فيليب : لدى أناس متنوعون في الطاقم الطبى.
أوليفر : أناس ؟ أناس من أى نوع ؟
فيليب : معالجين، معالجي العظام.
نادية : مدربين شخصيين.
أوليفر : يا إلهى، ماذا تقول، هل تجعل الناس يجرون ؟
فيليب : والدى...
أوليفر : إنى أسأل، إنى أسأل سؤالاً.
فيليب : ما الغريب بشأن الجرى ؟ ما المهين في الجرى ؟
أوليفر : أتجرى ؟
فيليب : لا ليس بشكل شخصى، فأنا لا أجرى إننى أوظف أناس لهذا الغرض.
(يلتفت فيليب بعيداً مثيراً اهتمام نادية.)
فيليب : ألم أحذرك ؟ أليس هذا ما قلت ؟
نادية : إنه ما قلت، ولكنى لا أفهم لماذا تأخذ الأمر على أعصابك ؟
(تبتسم نادية ممتعة نفسها.)
أوليفر : حسناً، لابد أن أقول إذا أردت أن تعرف ما أعتقده...
فيليب : أستطيع تخمين ما تعتقده.
أوليفر : إذا كنت تريد رأيى، فإننى فعلت الكثير من الأشياء المهمة مع المرضى غير أننى لم أصحب البلهاء أبداً في عدو. أقصد، هل أنت جاد ؟
فيليب : إن هذا خطأ كان يجب ألا أثير الموضوع. أنا أقول فقط تبذل كل هذا المجهود من سنوات في الدراسة والتعليم والعمل الشاق، وفي نهاية المطاف، ماذا تفعل ؟ تعلق هذه الزجاجات القليلة السخيفة من الماء ورافعات الأثقال ؟
(يهز فيليب رأسه محاولاً الاحتفاظ بثباته.)
فيليب : أبى، يا أبى إنك تعلم، وأنا أعلم أن هناك عوامل ثقافية في الطب، إنك أنت نفسك الذى اعتدت أن تعلمنى أنه ليس هناك شىء كالطب النظرى.
أوليفر : لا، ولكن ليس هناك شىء مثل أن تطلب مائتين وخمسين دولاراً لأخذ الأمريكان الذين يعانون من السمنة للجرى في الحديقة.
فيليب : هل تعتقد أن هذا ما أفعل ؟
أوليفر : وهناك كلمة لوصف هذا أيضاً.
فيليب : يا إلهى، هل تعتقد حقاً أن هذا ما وصلت إليه ؟
أوليفر : إنى لا أعرف ما وصلت إليه. إننى طبيب، ولست معالجاً شخصياً.
فيليب : مدرب شخصى يا أبي، مدرب شخصى وليس معالجاً شخصيا.
(تبتسم نادية مستمتعة بوقت طيب.)

فيليب : يا أبى، إنى أوظف الناس، الناس العاديين. إنك تقول "قل لهم الحقيقة، وأبقى معهم حتى النهاية " ما رأيك في "تأجيل النهاية" ؟ إن هذا ليس حقيراً، أليس كذلك ؟
أوليفر : لا، إنه ليس كذلك.
فيليب : هذا ليس خطأ ؟
أوليفر : بالطبع لا.
فيليب : "أخر النهاية" ولم لا ؟ اهتم بصحتك واشعرك بتحسن وأعالج مشاكلك.
أوليفر : "اعالج مشاكلك" ؟ يا إلهى لا تقل أنك تتحدث مع الأوغاد أيضاً !
فيليب : ألا يسمى هذا الطب الوقائى، يا والدى، ألم يكن هذا شيئاً تم تربيتنا للموافقة عليه ؟
أوليفر : بالطبع.
فيليب : ولذا ؟
(ينتظر فيليب.)
فيليب : ولذا ؟
(يظل أوليفر صامتاً، ولا يقول شيئاً.)
فيليب : إننا نعمل لوقايتك من المرض بدلاً من علاجك بعد أن تصاب به، ما الخطأ في هذا ؟ هذا هو مستقبل الطب يا والدى، ألم يخبرك أحد ؟ ألم يصلك هذا الكلام ؟ إن كل هذا المنظر الملعون مفيد أكثر من كتابة روشتات من أجل لقمة العيش.
أوليفر : لا تقلق، فليس هناك حاجة للقلق بشأن هذا.
فيليب : لن أقلق.
أوليفر : ليس هناك حاجة للدفاع.
فيليب : إنى لا أدافع، إنى أهاجم إنك تعيش في الماضى.
أوليفر : هذا شأنك، وهذا ليس معناه أن لدى رأى عظيم في الأطباء.
نادية : ولم لا ؟ ما الذى بنيت عليه ذلك ؟
أوليفر : لقد قابلت الكثير منهم أتذكرى ؟
(يبتسم أوليفر، وهو مقتنع.)
أوليفر : إذا أعتقدت أنك أمهر من طبيبك، فربما تكون على حق، فالحصول على درجة في الطب ليست دليلاً يعول عليه كثيراً، فمن الغريب أن الكثير من الناس يفحصون اثنتي عشرة خوخة في السوبر ماركت قبل اختيار الخوخة التى يريدونها، ومع ذلك فهم يذهبون لأول طبيب يخطر ببالهم دون إمعان التفكير للحظة ؟ فلا شيء يعتمد على هذا، بالطبع، إلا حياتهم. "معذرةً يا دكتور، إنى لا أريد إزعاجك" إنى أشاهدهم وهم يدخلون من باب عيادتى وكلما كان سلوكهم متواضعاً كان المرض مميتاً، فالسرطان على وجه الخصوص يتم ربطه إحصائياً بالارتفاع الحديث في الثروة الشخصية "أوه يا دكتور لقد مررت بفترة سيئة، ولكننى أخيراً بدأت أشعر بتحسن..." أه !
نادية : ما رأيك في هذا ؟
أوليفر : من يعرف ؟
(يبتسم أوليفر، وهو مرتاح.)
أوليفر : ينظرون إليك طوال الوقت كما لوكنت تستطيع مد يد العون.
نادية : ألا تستطيع ؟
أوليفر : لا أستطيع مد يد العون إلا إذا ساعدوا أنفسهم إن أول تصرف فطرى لدى المريض هو تعليق الحكم، فدافعهم المباشر يكون قوى جداً، فهم يريدون أن يضعوا أنفسهم في يد شخص آخر.
نادية : وهل هذا شيء سيئ.

أوليفر : عندما يقال لكى أنك مصابة بمرض خطير، فإن أسهل رد فعل هو أن تستسلمى لما تعتقدين أنه خبير، وعندما يأتى الأمر إلى هذا الحد، فإن الناس يفضلون المغامرة على التفكير في النتائج.

نادية : أجل. إنه لخطأ من السهل الوقوع فيه، أليس كذلك ؟

أوليفر : إنه خطأ بالتأكيد.

نادية : على أية حال كل الأطباء يقولون لك دائماً: إنهم يعرفون أشياء لا نعرفها.

فيليب : أليس هم على حق ؟

أوليفر : الوظيفة تحتم على أن أقول للمرضى كل شيء أستطيع أن أقوله، وحينئذ يُترك الأمر لهم.

نادية : هل كان تفكيرك دائماً هكذا ؟

أوليفر : أنا ممارس عام، ألا تذكرى ؟ ومن خلفي ينتظر صفوف من الخبراء.

نادية : ألم تود أن تكون خبيرا ؟

أوليفر : كنت خبيراً منذ أمدٍ بعيد.

(صمت. يتوقعون منه الاستمرار.)

نادية : ما الذى حدث ؟

(يبتسم أوليفر، وحينئذ يمد يده ليمسك بالزجاجة.)

أوليفر : سأعطى كل واحد كأساً أخر من الخمر، وبعد ذلك نذهب للفراش.

فيليب : سوف أخذ نادية فوق تل شيب.

أوليفر : خذها.

(ينتظر فيليب لحظة، ثم ينهض ممسكاً ببعض الأطباق وهو يمشى.)

فيليب : إنى أحتاج لسترة.

(يضع فيليب يده على كتف نادية ثم يخرج.)

نادية : يا له من مساء رائع.

أوليفر : أليس كذلك ؟

نادية : كم الساعة الآن ؟

أوليفر : تجاوزت الثانية عشرة.

نادية : إنه يعبدك.

أوليفر : إنى لا أعتقد هذا.

نادية : في أعماقه.

أوليفر : أوه. لا، لا، ولا حتى في أعماقه.

نادية : حسناً، إن "يعبد" هى الكلمة الخطأ، ولكنه يريد إرضائك.

أوليفر : ليس على الإطلاق إنه يريد إزاحتي من طريقه.

نادية : هل أنت متأكد ؟

أوليفر : إنه يريد نسيانى.

(ينظر أوليفر، وهو غير متعاطف.)

أوليفر : صدقينى إن هذه ليست زيارة للتصالح بل إنها زيارة للوداع، وأشك أنه مهما حدث فإنى لن أراكِ كثيراً.

(تنظر إليه نادية للحظة.)

نادية : بدأت أفهم... بدأت أفهم كيف تأثر فيليب بنشأته. فهو مازال يشعر شعوراً سيئاً لأنه لم يصبح طبيباً.

أوليفر : أتعتقدين هذا ؟ إنى لست متأكداً. ذهب لنيوكاسل لدراسة الطب، ولكنه لم يأخذ فرصته أبداً، وكان هذا في وقت صعب في الأسرة، فقد قال أنه يفضل أن يدرس شيئاً أقل طموحاً ولكن

يدرسه بطريقه أفضل، وكان هذا معقولا جداً، فالناس الأقل موهبةً بكثير من فيليب يدرسون العظام.

نادية : عندما قابلته، في الواقع، إن أكثر ما أحببته فيه كان ثقته في نفسه.

أوليفر : إن فيليب لديه ثقة شديدة بنفسه كما أن لديه احترام متواضع جداً لنفسه، فهذا مزيج تجديه في كل الفائزين.

نادية : هل ورث ذلك ؟

أوليفر : أعتقد أنكِ يمكنك أن تقولى هذا : بالعكس، أو أنه لم يرثه منى على أية حال، فربما تقولين أنى أعانى من العكس احترام ذات مفرط ولا ثقة بالذات ومن ثمَ.

نادية : ومن ثمَ، ومن ثمَ ماذا ؟

أوليفر : ومن ثمَ.

(يمعن التفكير للحظة.)

أوليفر : لقد كان أشبه بأمه بعد أن رحلت. لقد ورث صفاته عنها، وهذا أفضل ما يمكن أن يفعله.

نادية : ما الصفات التى ورثها ؟

أوليفر : عدم الاستهتار، ولكنى أعتقد أنكِ يمكنك أن تقولى: إنه ينجذب تجاه النساء التى يصعب التعامل معهن، فلقد كن شيئا ثابتا في حياته.

نادية : تقصد حتى الآن ؟

(كلاهما صامتان، والموقف هادئ بطريقة مغرية.)

نادية : وأنت ؟

أوليفر : من البديهى نعم، وأنا أنجذب إليهن أيضاً.

(يظهر فيليب صامتاً ومشدوداً من ورائهم، فهل يعرف أوليفر أنه موجود.)

أوليفر : إنكِ ستحبين تل شيب، فالمنظر هناك رائع، ففي أثناء النهار يقولون أنكِ يمكنك رؤية ثمانى مقاطعات، وبالليل مجموعات من النجوم، اعتماداً على الطقس.

(ينهض أوليفر.)

أوليفر : سأفسر هذا غداً، اتركى هذا الآن. إذا سمعتينى ليلاً، فلا تقلقى فإنى أحب القراءة، أحب القراءة خارج المنزل تصبحين على خير تصبح على خير يا بنى.

(إن هذا أخر ما يقوله أوليفر لفيليب عندما يدرك أوليفر وجوده وهو خارج ثم تلى لحظات صمت كثيرة.)

نادية : حسناً.

(لا يرد فيليب.)

نادية : هل هناك شيء ما خطأ ؟ هل مازلت تريد أن تتمشى ؟

فيليب : بالطبع أريد أن أتمشى.

نادية : حسناً، وبعد ذلك.

(تنتظر نادية.)

نادية : إنى لا أفهم، لماذا أنت غاضب ؟

فيليب : لأن هذا تمثيل. إن هذا اقتناع أنكِ تعرفين ذلك، أليس كذلك ؟

نادية : وهل يهم ذلك ؟

فيليب : إنه ليس ما يدعى.

نادية : هل تقصد من الداخل ؟

(تبتسم نادية من العبارة.)

فيليب : ماذا يضحكك ؟ لماذا تقولين "من الداخل" بهذه الطريقة ؟

نادية : أوه، إن أحد تلاميذى – شىء ما – على أية حال، هذا الطالب استمر يقول : إن الناس يختلفون من الداخل.

فيليب : إن تلميذك على حق.

(تنتظر نادية مرة ثانية.)

نادية : ما الخطأ في هذا يا فيليب ؟

فيليب : إنه يجلس هناك متظاهراً بالعقلانية السخيفة كما لو كان أكثر الناس عقلانية في العالم. لقد أصاب أمى بالجنون، لماذا تعتقدين أنها كانت تعيسة جداً ؟ إن أى شىء مرتدياً تنورة ينكحه، فلقد نكح كل امرأة من هنا حتى العقبة.

(يلتفت فيليب نحوها.)

فيليب : وقتل واحدا أيضاً بالصدفة إنها كانت حادثة، ولكنه قتل شخصاً.

نادية : في عملية جراحية ؟

أوليفر : لا لم يكن في عملية ؟

نادية : أين إذاً ؟

(ينظر فيليب بعيداً.)

نادية : إنى لا أفهم، ما الجديد يا فيليب ؟ إنك لست أنت.

(فجأة يثور عاطفياً.)

فيليب : فالناس ليسوا بوجهات نظرهم، إنكِ تعرفين، فهم ليسوا أرائهم، إنهم ليسوا ما يقولون فهم ليسوا ما يخرج من أفواههم.

نادية : إنى أعرف ذلك.

فيليب : لبق ! متحضر ! إنها خدعة إن أى إنسان يمكنه فعل ذلك، إن ذلك ليس له علاقة بمن هو، كل نبل المشاعر هذه ! كل المبادئ هذه ! حب الأدب !

(يهز فيليب رأسه احتقاراً.)

فيليب : وبعيداً عن أى شىء أخر – إنى أعرف أنكِ لن تصدقى لأن هذا أمرٌ لا يمكن تصديقه – ولكنه يحاول إغراءك.

نادية : لا تكن سخيفاً إنك لا تستطيع التفكير لأنك مخمور !

فيليب : إنه، فهو يريد إزاحة صديقة ابنه، وأخذها للفراش.

نادية : إننى لا أعتقد ذلك يا فيليب، إننى لا أعتقد أن هذا شىء محتمل.

فيليب : إن هذا ما يفعله، إنه يفعل هذا النوع من الأشياء طوال طفولتى لقد قام بتهريب عاهرة فرنسية عبر القنال في حقيبة السيارة.

(نادية لا تستطيع أن تتمالك نفسها من الضحك.)

فيليب : هل تعتقدى أن هذا مضحك ؟

نادية : أعتقد أن هذا مضحك، نعم بالله عليك يجب أن تتخلص من هذه الأشياء.

فيليب : أوه، نعم ؟ فهل تخلصت أنت من هذه الأشياء ؟

نادية : لا أعرف إنى أبحث عن ذكرى لوالدى وهو يضع العاهرات في حقيبة سيارته.

(يهز فيليب رأسه.)

نادية : ونقول نحن صندوق السيارة، ففي الولايات المتحدة نقول صندوق السيارة.

فيليب : وما رأيكِ في رجل ينكح امرأة في غرفة الجلوس بينما أمى نائمة في الطابق العلوى ؟

نادية : هل فعل ذلك ؟

فيليب : أهذا مضحك ؟ أهذا رائع ؟

(تقر نادية بهذا.)

نادية : حسناً.

فيليب : انظري فقط للخلف.
نادية : على ماذا ؟
فيليب : على الطريقه التى مر بها اليوم انظرى إليها ! بدأت بتقويده، التقويد الماكر. لابد أنكِ قد لاحظت الطريقة التى يبدأ بها تدميرك، لاحظت كيف أنه لا يوافق على ذهابك لمقابلة الرئيس.
نادية : أوه، تلك الطريقة.
(تبتسم نادية لنفسها.)
فيليب : كيف أرادكِ أن تستسلمى، كيف أشار ضمنا أنك انتهازية ثائرة لتأييدك الحرب في العراق. لقد لمح بهذا، بسب طموحك الشخصى، فقد أشار ضمناً إلى أنكِ غير مستقيمة.
(لا تجيب نادية.)
فيليب : وبعد ذلك رتب الأمور– أقول هذا على مسؤليتى – رتب الأمور دون عفوية : غير الموضوع. أوه، ففجأة هو لا يكرهك، وفجأة يعد لكِ وجبة ويعتقد أنكِ عظيمة، لقد رأيته يفعل ذلك مرات عديدة ولذا فإن المرأة تعتقد، أوه، أنه تغير تجاهى، هذا مسلى يا له من رجل مسلى ! يا إلهى إن هذا واضح بطريقة تثير الشفقة، إنه كازانوفا في الصفحة رقم واحد.
نادية : ولماذا هذا مهم ؟
فيليب : إنه مهم؛ لأنه خطأ.
(ينتقل فيليب بعيداً، وهو غاضب.)
فيليب : إن هذا شيء مثير للاشمئزاز لقد قضيت طفولتى كلها أرى طابوراً من النساء يُنكحون ويُبصق عليهن بينما تجلس أمى وحيدة...
(صمت. تتحدث نادية بهدوء.)
نادية : ألا تعتقد أنه قد حان الوقت الآن لتجاوز هذا ؟
فيليب : بالطبع أفعل لقد تغلبت على هذا، لقد تجاوزته، فلم يعد الأمر مهماً بالنسبة لى. إننى فقط أشير إليه.
نادية : جيد.
فيليب : ماذا تعنى كلمة "جيد" ؟
نادية : ماذا تعتقد أنها تعنى ؟
(تنتظر نادية لحظة تدرسه بجدية وهى هادئة.)
نادية : أين إحساسك بالدعابة ؟ لا تقل أنك قد فقدته.
فيليب : إننى لم أفقده، إننى اساءت وضعه، سأجده ثانية.
نادية : متى ؟ متى سوف تجده ؟
فيليب : حالاً، سوف أجده حالاً.
(تبتسم نادية.)
نادية : يا فيليب، لقد جئنا لقضاء أجازة، أتينا كزوجين وأريد أن نرحل كزوجين.
فيليب : نعم، حسناً إن هذا هو تعريف عطلة نهاية الأسبوع الناجحة.
نادية : لقد كنت أمينة معك. لقد كان لدى سلسلة من الأمور التى لم يتم تسويتها لأننى كنت دائماً مع رجال غير موثوق بهم، لقد أخبرتك بهذا. إننى أستطيع أن أثق بك، وهذا ما جذبنى إليك، دعنى أقول، وفقا لخبرتى، هذه كانت صفة جذابة جداً.
(صمت. ثم يتحدث فيليب دون مرارة.)
فيليب : إن هذا أمراً صعباً جداًعليكِ. فقد سبب إزعاجا كبيراً لكِ، فالأمر كله كان بمثابة مشكلة كبيرة لسياسية سراييفو المحنكة.
نادية : فقط، لا أود أن أرى الناس يعانون بسبب أشياء لا يستطيعون عمل شيء بشأنها.
فيليب : أعتقد أن هذه أشياء في الحياة مضطرين أن نعانيها.

نادية : لا أعتقد هذا، لا أعتقد هذا حقاً.

(يبتسم فيليب مقراً هذا.)

نادية : ولذا أخبرنى، ما الذى سنفعله فوق ذلك التل ؟

فيليب : ما الذى تودين فعله على التل ؟

نادية : جيد.

(يُحسم الجدل، ينظران لبعضهما بمودة.)

نادية : فلننساه، فلنتركه خلفنا ونصعد التل.

الفصل الثانى

المشهد الأول

(فيليب بمفرده.)

فيليب : كنت نائماً، كنت مستغرقاً فى النوم أحلم بأيام طفولتى، بوالدى الطبيب المشهور، واتذكر أمى وهى جالسة على جانب الفراش، وشعرها مسدول فوق وجهها، وأنا وحدى فى الحجرة أسمع صوت نواحها. كنت أحلم كما لو كانت الطائرة تنتظرنى كى تأخذنى بعيداً إلى أمريكا...

المشهد الثانى

(فى منتصف الليل، فى الحديقة. أوليفر مرتدياً عباءة، ويجلس على أحد الكراسى القماش، ويقرأ على ضوء مصباح تشحنه بطارية صغيرة معلقة بالكتاب، وهو لا يسمع عندما تأتى نادية، وهى ناعسة حافية القدمين، من جهة المنزل. تقترب نادية، ويلتفت هو.)

أوليفر : هل تعرفين ما قاله ريتشارد نيكسون عندما اصطحبوه إلى سور الصين العظيم ؟

نادية : لا. لا، ما الذى قاله نيكسون ؟

أوليفر : قال "هذا سورٌ عظيم."

(تبتسم نادية.)

أوليفر : هذا مدهش، أليس كذلك ؟

نادية : نوعاً ما.

أوليفر : ما يعجبنى هو أنه رائع فى بساطته، فمن بين كل ردود الأفعال التى يمكن لبشر أن يبديها عندما يرى سورا، فإن رد فعل نيكسون هو أوضحها.

نادية : لا يستطيع أحد أن يخدع ريتشارد نيكسون.

أوليفر : حقا.

نادية : إنه كلما رأى سورا ينظر إليه بوصفه عظيماً.

أوليفر : أعتقد أن هذا هو التعليق المثالى للسياسة طوال الوقت.

نادية : هل قرأت هذا ؟

أوليفر : هاه.

نادية : هل قرأت هذا .

(تتحرك نادية للأمام لتنظر للنجوم.)

نادية : يا لها من ليلة ! يا إلهى، يا لها من ليلة !

أوليفر : إن الجو جميل هنا، أليس كذلك ؟

نادية : إنه جميل جداً.

أوليفر : ألست محظوظا ؟

(يبتسم أوليفر.)

أوليفر : لا أعتقد أن إبنى سيكون سعيداً عندما يستيقظ، ويجد أنك غير موجودة.

نادية : لن يستيقظ إنه يغُطّ فى سبات عميق.

أوليفر : ألا تستغرقين أنت فى النوم أيضاً ؟

(لا تجيب نادية.)

أوليفر : كيف يمكنك تدريس السياسة ؟

نادية : ماذا ؟

أوليفر : "هذا سورٌ عظيم".

نادية : أوه.

أوليفر : الساسة لا يتكلمون اللغة ،وإنما يستخدمونها، فكيف يمكنك أن تأخذى أناسا يستخدمون اللغة كأداة على محمل الجد.

نادية : إذا كانت اللغة أداة، فالسياسة حياتى.
أوليفر : أحقاً ؟ أحياتك هى العمل ؟ أليس هناك حياة أخرى إلا العمل ؟
(لا تجيب نادية.)
نادية : هل تعد العشاء بنفسك ؟
أوليفر : ومن غيرى ؟
نادية : دون مساعدة من أحد ؟
أوليفر : هل تعتقدين أننى أحضرته جاهزا ؟
نادية : كيف أعددت السلطة ؟ لقد كانت لذيذة الطعم.
أوليفر : لأنها خدعة، إنها خدعة رخيصة.
(تنظر نادية للخارج الى الليل، ويضع أوليفر كتابه جانباً.)
أوليفر : إن الساسة يتحدثون فقط من أجل الإرضاء، أو لاستباق جدل، أو لملء صمت غير مريح "هذا سورٌ عظيم" كيف يمكنكِ تدريس هذا ؟
نادية : إنى أهتم بفن تسوية الخلافات. فبالنسبة لى هذا هو موضوع السياسة، كيف نتعايش ونحن نريد أشياء مختلفة ؟
أوليفر : هل هذا هو موضوع السياسة ؟
نادية : أعتقد أنه.
أوليفر : أليس هناك شيء أنبل من هذا ؟ أليس هناك شيء أفضل ؟
نادية : لقد أصبح سكان العالم ضعف ما كانوا عليه منذ عشرين عاماً مضت، فكلما عاش الناس بالقرب من بعضهم أصبحت خلافاتهم أكثر حدة، فبالنسبة لمشاورات السلام الخاصة بفيتنام تم قضاء شهرين حتى تم حسم تنسيق جدول الأعمال، والحرب فى يوغسلافيا تم تسويتها بمركز مؤتمر بوب هوب بمدينة دايتون بولاية أوهايو، واستمرت الجلسة عشرين يوماً، وفى نهايتها حل السلام. إن الناس الطيبين هم المتفاوضون، والناس السيئين هم المضللون، وأحيانا القليل من الخداع يكون ضروريا للتفاوض. حسناً ربما يكون، ولكن فى حالة عدم شعور الطرف الآخر بأن حقه مهضوم، فليس هناك سبب بعينه للشعور بالاضطهاد.
أوليفر : هل هذا هو سر النجاح ؟
(تنظر إليه نادية للحظة، وبعد ذلك تهز كتفيها.)
نادية : الكثير منا على أية حال جاء من أوروبا...
أوليفر : أسرتك ؟
نادية : أجداد أبائى.
أوليفر : إلى أين ذهبوا ؟
نادية : إلى شمال كاليفورنيا.
أوليفر : أه.
نادية : إننى من أسرة ليبراليه.
أوليفر : خمنت هذا.
نادية : مثل أسرتك على ما أعتقد. إن الطريقة التى تفكر بها، والطريقة التى تتحدث بها مألوفتان بالنسبة لى. الإيمان بالخدمة العامة، الأخلاق العامة.
أوليفر : هل مازال والداك على قيد الحياة ؟
نادية : لماذا؟ نعم.
أوليفر : يعيشان معاً ؟
(تهز نادية رأسها.)
نادية : على أية حال – أياً كان – فغريزتنا الأولى كمهاجرين هو أن ننأى بأنفسنا عن قارتك المتنازعة.

أوليفر : هذا معقول.
نادية : هذا هو السبب الذى من أجله رحلنا.
أوليفر : كنتم على حق.
نادية : فى أن نبعد.
أوليفر : ومن يمكن أن يلومكم ؟
نادية : ولو نظرت إلى التاريخ الأمريكى الحديث – الحرب العالمية الثانية، وكوريا، وفيتنام، والحرب الباردة – فإن هذا يكاد يكون مدهشا، أليس كذلك ؟ ولذا فإن الكثير منا سعداء داخل حدودنا، ما فائدة أن تكون غنيا إن لم تكن قادراً على الاستمتاع بثروتك ؟ فعندما انهار الإتحاد السوفيتى كان من المفترض أن يكون هناك فائض، فنحن نعيش وحدنا، ونفكر فى حياتنا، ولكن العكس قد حدث، فلقد تورطنا أكثر فأكثر فى مشاكل العالم، تُرى لماذا الكثير من الأمريكيين مزاجهم سيء ؟
(يبتسم أوليفر.)
أوليفر : إنك لم تتورطى فى هذا، أليس كذلك ؟
نادية : حسناً...
أوليفر : إنه أشبه بأنك أقحمت نفسك فيه، ألا تعتقدين هذا ؟
نادية : إن هذا يعتمد على الدور الملعوب.
أوليفر : أفضل أن أقول أقحمت نفسك فيه. إن الغرب كان ومازال يستخدم الإسلام عدواً يستفيد منه. فبقدر ما يستطيع المرء أن يتذكر كان الجدل الدائر منذ هنري الخامس هو. "هل سنذهب إلى القسطنطينية ونجر التركى من لحيته ؟ ألم نذهب ؟"
(صمت قليل. ثم يتحدث أوليفر بهدوء.)
أوليفر : ستبتل قدماكِ. إن الندى ينزل مبكراً.
(لهجة صوت أوليفر تصير غريبة لدرجة أن نادية تلتفت.)
نادية : وأنت ؟ هل تقرأ طوال الليل ؟
أوليفر : إنى لست بحاجة لنوم كثير، فهذه خدعة الطبيب اختلاس النوم فى الأجنحة.
نادية : إن كل شيء خدعة بالنسبة لك، إنك تستخدم تلك الكلمة طوال الوقت.
أوليفر : هل أفعل ذلك ؟
نادية : نعم.
أوليفر : لقد شاهدت الفجر يبزغ مرات كثيرة.
(تقف نادية ولا تتحرك.)
أوليفر : وكيف حال التل ؟
نادية : معذرة ؟
أوليفر : ألم تصعدي فوق تل شيب ؟
نادية : أوه، نعم إنه مذهل.
أوليفر : ماذا فعلت هناك ؟
(تتردد نادية لمدة ثانية فقط.)
أوليفر : أنا آسف يا له من سؤال غبي.
نادية : كان المنظر رائعاً.
(لحظة من الصمت.)
نادية : فيليب... بدأ فيليب يحكي لى عن أمه.
أوليفر : هل حكى لك؟
نادية : بدأ يفتح لي قلبه، فهو قليل الحديث عنها.

أوليفر : ربما هناك مبرر.
(تفهم نادية لهجته.)
نادية : لقد كان انفصالا سيئا.
أوليفر : يمكنك أن تقولي هذا.
نادية : قال كان انفصالا معذبا.
أوليفر : لقد كان.
نادية : هل هي تعيش فى شمال لندن فى بيتكم القديم ؟
أوليفر : نعم.
نادية : ألم ترحل أبداً ؟
(يهز أوليفر رأسه.)
أوليفر : قبل أن أقرر الرحيل بوقت طويل كان هناك مشاكل، فقد أصبحت زوجتى مهووسة بالحاجة للسيطرة، السيطرة على الحياة.
نادية : حياتها ؟
أوليفر : بالتأكيد، وبالمرة حياة الآخرين.
نادية : هل هى طبيبة أيضاً ؟
(يهز أوليفر رأسه.)
نادية : ما الذى تعنيه "بالسيطرة" ؟
أوليفر : إن هذا يأخذ أشكالا عديدة، وأحد هذه الأشكال هو وضع ملصق على برطمان السكر مشيراً إلى أن هذا "سكر" وأيضاً وضع كلمة "شاى" على البرطمان الذى تحفظين به الشاى، ولكن عندما تضعين كلمة "ثلاجة" على الثلاجة، فهذا يعني أنك فى مشكلة، إن الأسهل أن نقول أن عالمها قد تقلص، وقد تحولت من كونها امرأة تعيش فى العالم إلى امرأة تهرب منه، حتى الرحلة إلى المستشفى أصبحت لا تتحملها.
نادية : وما السبب ؟
أوليفر : أوه، الإحساس بأنها تُراقب.
(تنتظر نادية.)
أوليفر : الإحساس بأنها مراقبة.
نادية : هل كان أحدا يراقبها ؟
أوليفر : بالطبع لا، لم يبال أحد.
نادية : ربما كانت هذه هى المشكلة ؟
أوليفر : لا أعتقد هذا.
نادية : الشعور بالإهمال، غيابك.
(يفكر أوليفر لحظة.)
أوليفر : انظري، أنت تعرفين أن هذا واضح –
نادية : تماما، لم يكن ينبغى أن أقول هذا –
أوليفر : قولى ما تشائين.
نادية : لا، كان خطأ، كان يجب ألا أتكلم.
أوليفر : إن لفيليب وجهة نظره الخاصة عن الأشياء. إن حالة أمه العقلية كانت نقطة خلاف بيننا، فقد كانت تتناول الأدوية لعدة سنوات. إن فيليب يعتقد أني أنا المُدان.
نادية : لم يقل بالفعل ذلك.
أوليفر : ألم يقل ؟ إن هذا ليس سراً. لم يوافق فيليب، لم يوافق فيليب على زواجنا، على نوعية الزواج الذى كنا نعيشه.
نادية : أى نوع من الزواج كان هذا ؟

أوليفر : النوع المفتوح، النوع الذى يكون فيه الحب طليقاً.
(فترة صمت، ولا تقول نادية شيئاً.)
أوليفر : إن فيليب أيضاً يهرب.
نادية : مم يهرب ؟
أوليفر : لماذا، مني، فلماذا ذهب للعيش فى أمريكا ؟
نادية : لم يقل هذا أبداً ؟
أوليفر : لا، ولكنك تعرفين فيليب إن هذا واضح، إن فيليب قرر أن تكون حياته فى تعارض مع حياتى، إنجلترا، أمريكا، شركاء كثيرون، شريك واحد، اللذة فى الحديث، اللذة فى الصمت. هذا هو حاله، ويرى في هذا نوعاً من القوة. إنه غلام مثير للانتباه.
(يهز أوليفر كتفيه هزة خفيفة.)
أوليفر : فبقدر المستطاع حاول التوسط بينى وبين أمه، وبعد ذلك فى مرحلة معينة أُجبر على الاختيار. إنى لا أحمل فى نفسى شيئا ضده إنه يحبنى، ولكنه لا يثق بى أبداً، فمن منا المخطئ؟
(ينظران لبعضهما للحظة.)
نادية : من فضلك، إننى لا أنحاز لأحد، إننى ببساطة استفسر.
أوليفر : هذا رائع.
نادية : لم أكن أُرتب لذلك، ليس هناك دافع وراء هذا، كان على ألا أفتح الموضوع، ولكن على كل حال.
أوليفر : على كل حال ؟
نادية : كنا بمفردنا بالحديقة لم يكن هناك أحد حولنا، وفى النهاية أردت أن أعرف من أنام معه.
(صمت ينم عن الشعور بالذنب، وتعدل نادية عمّا قالته.)
نادية : ليس لأننى لا أعرفه، أقصد... إننى لا أقصد أن أقول أننى لا أعرفه، ولكنى وددت أن أعرف أكثر.
(يبتسم أوليفر.)
أوليفر : لكنكِ أنت التى قلت أنكِ بحاجة إلى أن تظل الأسرار أسراراً.
نادية : لقد قلت.
أوليفر : لذا، ما هذا ؟ الليل ؟ هل يغيركِ الليل ؟
(تمرلحظة، وتنظر إليه نادية.)
نادية : فى الطب العسكرى هناك تلك اللحظة، إنك تعلم، إنك ربما قد سمعت عنها – هناك تلك اللحظة بعد كارثة، بعد إطلاق النار – هناك هذه اللحظة، اللحظة الحرجة، عندما تكون بالفعل ذا فائدة ما.
أوليفر : ذو فائدة لى ؟
(ينظر أوليفر غير مصدق، بعد ذلك يبدأ الحديث بحسم.)
أوليفر : حسناً جداً زواجنا، لو كنت تريدين أن تعرفي إذا كنت مهتمة.
نادية : إنى مهتمة.
أوليفر : لقد حاولت أن أفهم، لقد حاولت أن أفهم ما حدث بيننا ولكن لم يكن سهلاً، فكيف تُرجعين الأشياء إلى مصدرها ؟ بدأت بولين تعانى من نفس الشيء الذى كانت تريده.
نادية : وما هذا الشيء ؟
أوليفر : الحرية، كانت تعاني من الحرية.
(لحظة، وينتظر أوليفر.)

أوليفر : قالت لى بولين فى وقت مبكر جداً، قالت، أتذكرها وهى تقول "إنني لا أعتقد أن البشر يحتاجون إلى ممارسة التمسك بشىء ما، فالتمسك سهل، أما عدم التمسك فهو ما نحتاج إلي تعلمه".

نادية : حقاً ؟

أوليفر : نعم.

نادية : هذه وجهة نظر صعبة.

أوليفر : أحقا ؟

نادية : بالتأكيد.

أوليفر : إنى لا أعتقد هذا.

نادية : إنه أسلوب صعب فى الحياة.

أوليفر : معذرة، ولكنى لم أكن متأكداً أن أى أحد يكتسب رزقه بالعمل كمراسل أجنبى يكون فى وضع الحكم.

نادية : ولم لا ؟

أوليفر : ماذا، الاندفاع للخارج للأماكن الخطرة ؟

نادية : إن الأمر ليس بتلك البساطة.

أوليفر : أليس بتلك البساطة ؟

نادية : أتقول لى أنى أهرب ؟

أوليفر : لم أقل هذا ؟

نادية : حسناً، وماذا قلت ؟

أوليفر : إن كل ما أقول هو: أنكِ لم تختارى أوضح طريقة للحياة بالنسبة لشخص يريد **أن** يستثمر كل شىء فى إنسان أخر.

نادية : ربما، ولكننى تخليت عن هذا. أتذكر ؟

أوليفر : قلتِ هذا.

نادية : استسلمت.

أوليفر : نعم ولكنكِ لم تستسلمي من أجل إنسان آخر، أليس كذلك ؟ استسلمت، قلتِ، نظراً لغضبك.

نادية : حسناً إن هذا حقيقي.

أوليفر : وهذا هو السبب الذى من أجله استسلمتِ.

(ينتظر، ولكن نادية لا ترد.)

أوليفر : حسناً، وهكذا وصلت بولين فراشى، وهى لا تنوى البقاء فيه. كنا خالين من الهموم، كنا نعمل ليلاً ونهاراً.

نادية : هل كنت تعمل بمستشفى ؟

أوليفر : نعم.

نادية : هل كان هذا عندما أصبحت متخصصاً ؟

أوليفر : كان هذا وقت التدريب على التخصص. كانت بولين تعيش بطريقة معينة – كنا طلاب طب، ترعرعنا فى الستينيات، لوجه الله، الجسد كان هو مجالنا، فإذا كنت تقلقين عم يفكر الطبيب عندما يطلب منكِ خلع ملابسك، فإنكِ لم تعودى بحاجة للقلق، أستطيع أن أخبرك الإجابة. لا تقللى أبداً من قدرة من يعمل بالطب على التفكير القذر. لم تحاول بولين التغير لمجرد أنها قابلتنى. قد لا تصدقى هذا، ولكن الناس فى تلك الفترة كانوا يصدقونه ، كان لدينا فكرة، فبداخلنا كان هناك هراء و مراوغة فكنت تقولين "سأراك غداً" عندما تقصدين أنكِ لن تريه، تعبرين الطريق لو رأيت شخصا آخر قادما، كانت لدينا فكرة بالفعل.

نادية : ما نوع الفكرة ؟

أوليفر : كنا نعتقد.
نادية : ما الذى كنت تعتقده ؟
أوليفر : أوه، كلما ضاجعت أناسا تعلمت.
(فترة صمت، أوليفر هادئ.)
أوليفر : إطلاق العنان للرغبة الجنسية، بالضبط، إنها لم تعد وجهة نظر مألوفة.
نادية : يمكنك قول هذا.
أوليفر : ولكن هذا ما اعتقدناه، لقد أخذناه على محمل الجد، إنه كلما أحببت أكثر كلما زادت قدرتك على الحب.
نادية : هل تعتقد هذا حقاً ؟
أوليفر : كان زمناً مختلفاً.
نادية : بالتأكيد.
أوليفر : إن الحب عاطفة، أليس كذلك ؟ إنه شعور، فهو ليس الحقيقة.
نادية : هل هو كذلك ؟
(يعم المكان صمت.)
نادية : استمر.
أوليفر : كان هناك كلام كثير عن المِلكية، بشأن عدم التملك، فالناس ليسوا ملكية، قال ويليم بليك لزوجته "لو كنت تريدين سعادتى، فكيف لا تتمنين سعادتى مع شخص ما آخر".
(تبتسم نادية.)
نادية : إنهم جاهزون، شعراؤك هؤلاء، أليس كذلك ؟
أوليفر : حسناً، إنهم جاهزون.
نادية : إنك حقاً لا تقول شيئاً من عندك، أليس كذلك ؟
أوليفر : بلى، حقاً.
نادية : إنك دائماً لديك شاعر جاهز.
(تهز نادية رأسها غير مصدقة.)
نادية : لابد أن أقول أن هذا يحتاج موهبة خاصة، إنه يحتاج نكهة معينة – فأنت تنام مع الكثير من النساء، و تدعى أن هذا يعنى شيئاً.
أوليفر : حسنا.
نادية : إنى مضطرة لأن أسأل، فهذا "الجيل" الذى تتحدث عنه – تعتقد أنه قد أحسن قضاء وقته، فهل أحسنت قضاء وقتك، أفعلت هذا ؟ وأنت تحلم بفلسفة لتبرر ما يُعرفهُ أى شخص آخر على أنه أنانية.
أوليفر : أعتقد أن الأمر أعمق قليلاً من هذا.
نادية : هل تعتقد ؟ ما هى الفكرة ؟ هل تنام مع الكثير من النساء، وتعتبر ذلك مثلا أعلى يحتذى به؟
أوليفر : حسناً هكذا كان الأمر.
نادية : أقصد، السؤال الواضح، لم لم تنكحهم من أجل المتعة ؟
أوليفر : أجل...
نادية : إن هذا ما يفعله بقيتنا.
(يعم المكان صمت للحظة.)
نادية : لقد فعلت هذا، لقد فعلت هذا.
أوليفر : قبل أن تقابلى فيليب.
نادية : تماماً.

(تبتسم نادية معترفة بزلة لسانها، وتومئ إماءه بمعنى "ماذا يمكن أن تفعل ؟".)

أوليفر : قد تكونين على حق إنها تجربة فاشلة، من يستطيع قول هذا ؟ بالرغم من أنها لم تكن تبدو هكذا فى ذلك الحين، فبدايتنا كانت أسعد بكثير من أبائنا.

نادية : ألم يكن الكل سعيداً ؟

(يبتسم أوليفر مقراً حقيقة هذا.)

أوليفر : على الأقل في البداية، آنذاك، وبمرور الوقت كان هناك عبء كبير من الشعور بالذنب، وبعد فتره أصبح العبء لا يطاق.

نادية : بالتحديد ؟

أوليفر : إن نهاية علاقتنا كانت لسبب أو لأخر مثيرة. ألم يقل لك فيليب هذا؟

(تهز نادية رأسها.)

أوليفر : ولكن أيضاً السؤال الأ كثرعمومية هو: هل كنت أستطيع أن أجعل هذه المرأة أقل تعاسة ؟

نادية : هل كنت تستطيع ؟

أوليفر : كيف تعرفين ؟ فأنا أبلغ من العمر ستين عاماً تقريباً.

نادية : هل هذا يصنع فرقاً ؟

أوليفر : لقد تعلمت أن أحترم الغموض قليلاً.

(يبتسم أوليفر.)

أوليفر : ها أنت مرهقة.

نادية : أتصور هذا.

أوليفر : شيء غريب، ففى الأيام الأولى كنت أميل للكآبة، وكانت بولين تقول "أنت تعرف أنه لا يوجد شيء تسجله الدولة باسم الكآبة، إنك يمكن أن تكون أول من سجل" ولكن عندما صارت بولين يائسة لم تعد حالتى المزاجية مهمة، وبدا أنها ليس لها علاقة بالموضوع.

(يهز أوليفر كتفيه.)

أوليفر : إن المألوف الآن هو مهاجمة فرويد فهو لم يعد مقبولاً، أليس كذلك ؟

نادية : فرويد ؟

أوليفر : لم يعد مقبولاً.

نادية : إنى لا أعرف، ألم يعد مقبولاً ؟

أوليفر : ولكن هاهو يحاول تحديد الحد الذى يستحيل التعامل معه بين ما يجب علينا تحمله، وما لا يجب علينا تحمله. يمكننا أن نحاول فهم بعضنا بعضاً، فنحن مضطرون إلى هذا، إن هذا هو شغلنا الشاغل فى الحياة، ولكن فى النهاية يطل فرويد علينا، ويقول إنه لا سبيل لمعرفة الناس، إن هذا أمر غريب، إنه لمن الغريب، أليس كذلك ؟ إننا جميعاً دأبنا على نبذ هذا الرجل – "سجين عصره" هكذا نقول – ولكننا نقول هذا عندما نكون فى حالة استياء ونصمم على أنه ليس له صلة بالواقع. فلا أحد منا يرى ولا أحد منا يتذكر أن هناك شيئا جميلا عما يقول فرويد لنا، فالكثير من العلماء يتركون العالم متضائلاً أما هو فقد تركه متسعا، فهو لم يفسر الحياة، ولكن بدلاً من ذلك ينصحنا بالحذر لأن هناك كثيراً مما لا يمكن تفسيره.

(يبتسم أوليفر.)

نادية : هل هذه هى رسالته ؟

أوليفر : من بين رسائل أخرى.

نادية : إنى فى الواقع لم أعرف أبداً.

أوليفر : ألا توافقين ؟

نادية : ليس على ذلك، فالأكثر: أن أحد طلابى...

أوليفر : أجل.

نادية : ... أثار موضوع فرويد مؤخراً.
أوليفر : وبعد هذا ؟
نادية : وبعد هذا، لاحظت، أو خطر ببالى، أن الناس عادةً ما يتحدثون عن فرويد عندما يريدون أن يبرروا شيئا لأنفسهم، فهم يتحدثون عن فرويد لأنهم لا يحبون مواجهة الحقائق.
أوليفر : هل تقصدين أنهم يستخدمونه لأنه مناسب ؟
نادية : بالضبط، إن هذا بالضبط ما أقصد.
أوليفر : كيف ؟
نادية : "إنى لا أتخيلك". "أوه، نعم إنك تتخيلنى من الداخل".
(يبتسم كلاهما.)
نادية : لقد اعتاد فرويد أن يبرر كل شىء، أليس كذلك ؟ "إنه ليس خطأى، إنها طفولتى" "إنها أمى" "إنها طريقة تربيتى" فعندما تسمع كلمة "فرويد" ، تعلم أن هناك عذراً قادما فى الطريق. أقصد، أليس من المثير أن تستعيد فكرة السلوك السىء ؟ وأن الناس مسئولون عما يفعلون ؟ أليس هذا منعشا للذاكرة!
أوليفر : يا إلهى.
نادية : إنى أعرف.
أوليفر : أجل، يا إلهى.
(يبتسم أوليفر، وتقف نادية مرعوبة إلى حدٍ ما من ثورتها.)
أوليفر : شىء ما يقول لى أنكِ تبحثين عن شراب.
نادية : فى الواقع إنى أبحث، هل تبالى ؟
أوليفر : لا على الإطلاق.
نادية : كم الوقت الآن ؟
أوليفر : الخامسة.
نادية : حسناً.
أوليفر : الخامسة وقتٌ طيب لتناول الخمر الأبيض.
(تضحك نادية، وتصب جرعة كبيرة من الزجاجة المتبقية.)
نادية :اعذرنى.
أوليفر : لا...
نادية : إن هذا سخيف.
أوليفر : ليس البتة.
نادية : أعرف أننى أبدو قاسية.
أوليفر : إن هذا لا يزعجنى، لا شىء يزعجنى.
نادية : ولكنى أسافر إلى بلدان كثيرة حيث لا تُسفر كل هذه الأشياء عن شىء.
أوليفر : إنى متأكد.
نادية : إن هذا لا يُسفر عن شىء ! إنه لا يعنى شيئا !
(ترفع نادية صوتها وهى متحمسة، ويلقى أوليفر نظرة قلق تجاه المنزل.)
نادية : إنى أعرف، فإنك لا يمكن أن تتمالك نفسك من تسجيل الملاحظات عند عودتك... فعندما عدت أخر مرة من العراق...
أوليفر : هل كان هذا عندما قابلت فيليب ؟
نادية : نعم.
أوليفر : منذ متى ؟
نادية : منذ عام، منذ عامٍ مضى.

(تقف نادية لحظة، وهى تفكر.)

نادية : وما هو الحال الآن ؟ سبعة وسبعون صحفياً ماتوا بالفعل، إنها أخطر حرب فى تاريخ مهنتى.

أوليفر : مهنتك السابقة.

نادية : حسناً، على أية حال، ففى اخر مرة ذهبت للمشاهدة لا لإعداد التقارير، ذهبت كأكاديمية، هذا ليس مهم إنهم يقتلونك أياً كنت، نعم هذا حقيقى، وعدت لوظيفتي الرائعة بجامعة ييل، ونظرت لهؤلاء الأطفال، ونظرت إلى زملائى، وعلمت أننى مضطرة للتغلب على هذا. عرفت أننى على أن أحاربه، ولكن كان هؤلاء الناس يبدون فاسدين، إنهم يبدون ضعفاء وفاسدين.

(تفكر نادية، وبعد ذلك تشرب خمرها.)

أوليفر : وهكذا نكون.

نادية : كما لو كان لا يشغلهم سوى وظائفهم، ورؤسائهم، وحياتهم، وأتذكر الاعتقاد بأننى ليس لدى الحق فى ازدرائهم، فأنا لم يكن لدى الحق فى احتقارهم.

أوليفر : إنكِ لست على حق.

نادية : أذكر أنني لم اكن أحب هذا الشعور، إننى لا أحبه على الإطلاق، فأنا لست مختلفة عنهم بل مثلهم مرتبكة أتستر دائماً وراء هدف، وراء قصد...

أوليفر : ولكن فى الأعماق ؟

نادية : بالضبط.

(يعم صمت طويل، تهز نادية رأسها.)

نادية : "فى الأعماق".

(فجأة تمتلئ عيون نادية بالدموع، وتقف محاولة إخفاءها، وتصرخ دون أى إنذار على الإطلاق ويتحرك أوليفر حركة بسيطة تجاهها، ولكن ترفع يدها وحينئذ تذهب وتصب لنفسها كأسا ثانيا كبيرا.)

أوليفر : ولذا ؟

نادية : ولذا – فعلت شيئا لم أفعله أبداً، ذهبت إلى صالة الألعاب.

أوليفر : هذا معقول.

نادية : رد الفعل التقليدي – اذهب إلى صالة الألعاب، اضبط لمدة دقيقة نسبة دهون الجسم والعضلات، واستجب للمعايير الاجتماعية، كنت نحيفة ! كنت نحيفة ! ومع ذلك كنت فى صالة الألعاب، كنت واقفة هناك لا أفكر فى شيء، وكنت أقول لنفسي: "عيشي حياة طويلة. حاولي أن تكوني مثل الآخرين بقدرالمستطاع" وفجأة رأيت فيليب يقف بالقرب مني، وهو رابط الجأش وقوى بطريقة لا يمكن تصديقها.

أوليفر : ماذا ظننت؟

نادية : ظننت أنه شخص واثق من نفسه.

(تهز نادية رأسها.)

نادية : كان هذا سخيفا.

أوليفر : لماذا ؟ لماذا سخيف ؟

نادية : أعتقد... إنى أخجل من قول هذا، كنت دون السادسة عشر.

آوليفر : هل كان هذا رومانسيا ؟

نادية : نوعاً ما ،نعم كان هذا رومانسيا .

أوليفر : قولى هذا.

نادية : من المفترض أنك لا تحب نظرات الرجال، أليس كذلك ؟ أليست النظرات مقصودا بها أن تكون علامة على السطحية ؟ فهم يقولون "إنه حسن المظهر بطريقة سطحية" ولا يقولون أبداً "أنه حسن المنظر، بعد تأمل".

(تهز نادية كتفيها.)
نادية : أوه كن واضحاً ! إنها لم تكن فقط نظراته...
أوليفر : بالطبع لا.
نادية : فعلى سبيل البدء أحببت فكرة أنه لم يكن من عالمى.
أوليفر : حسناً، لا.
نادية : إنه لا تزعجه الأشياء التى تزعجنى ولا يوجد شىء لا يستطيع عمله، فقد قام بإصلاح سيارتى عندما تعطلت، إنه أصلح حتى سقف منزلى، فكان يعرف أى محل يتوجه إليه، وكان يستطيع إعادة تغطية السقف بقطع صغيرة من الفخار. رأيت فيه فارسا، وكان ذلك فى غضون ساعات من لقائنا.
أوليفر : هل كان هذا فوق سطح منزلك ؟
نادية : أتذكر أننى إعتقدت أنى لم أقابل أبداً مثل هذا الرجل، رجلٌ يستطيع القيام بكل شىء، هذا ما كنت أتمناه.
(ينظر إليها بتمعن.)
نادية : لقد كنت دائماً ً أجمع بين العاطفة والتمرد، فكانت هذه المرة العاطفة هى التى تسيطر إن هذا شىء نادر، إن هذا شىء نادر جداً.
أوليفر : أتصور أنه بعد ما مررتِ به كان هذا نوعاً من الراحة.
نادية : نعم كان.
أوليفر : إنى متأكد.
نادية : ربما أيضاً أقول لك إن هناك أنواعا كثيرة من الرجال لا تجذبنى بما فى ذلك الصحفيون، والأكاديميون، ومن يتحدثون عن السياسة طوال اليوم.
أوليفر : هل تقصدين أناسا مثلك ؟
نادية : بالضبط، فأنا لم أنجذب أبداً لأحد مثلى.
(يبتسم كلاهما.)
أوليفر : فمن يجذبكِ إذاً ؟
نادية : أوه...
أوليفر : إنكِ تبدين مكسورة الفؤاد.
نادية : ما الذى يجعلك تقول هذا ؟ لماذا تقول هذا ؟
(ينظر إليها أوليفر، ولا يجيب.)
نادية : من غير المتوقع أن تقول هذا.
(تبدو نادية مصدومة، وتقف منتظرة إياه ليشرح لها هذا.)
أوليفر : حسناً، فبالأمس عندما كنت تتحدثين عن ماضيكِ، لم أتمالك نفسى من التفكير، إن هذه امرأة جرحت جرحاً بالغاً.
نادية : هل تظن أنك تستطيع قراءتى ؟
أوليفر : لا.
نادية : وبالرغم من هذا، ليس هذا مدهشاً، أليس كذلك ؟ لو وضعنا فى الاعتبار مجال خبرتك ؟ كل خلفيتك، كل تجاربك...
أوليفر : تماماً...
نادية : كل نسائك.
(لقد تغيرت الحالة المزاجية، ونادية على وشك مهاجمته.)
نادية : فى الواقع، أتبالى، هل أستطيع فقط أن أقول شيئا ما ؟
أوليفر : بالطبع.

نادية : مبكراً...
أوليفر : نعم ؟
نادية : عندما كنت تحكى لى عن زواجك، كم كان صعباً، كم كان صعباً أن تفهم وجدت نفسى أتساءل – كنت تتحدث برفق – با شتياق – نعم، لابد أن يكون هذا مغرياً – لاحظت أن العالم ملئ برجال يحكون لك كيف كانت زوجاتهم السابقات رائعات – ألم تكن تغالى فى سر الرومانسية ؟
أوليفر : أكنت أغالى ؟
نادية : إنه أحد تلك الأشياء، شىء من الأشياء الخاصة بالجنسين. إن أُذن النساء تميل إلى سماع ما تريد أن تسمعه.
أوليفر : لسماع ؟ لسماع ماذا ؟
نادية : الكذب، الرجال الذين يكذبون.
(تنظر نادية، ولا تعتذر.)
نادية : إنكما عقدتما صفقة، أليس كذلك ؟ أليست تلك هى الحقيقة ؟ فأنتما الإثنان قد عقدتما صفقة لامعنى لها.
أوليفر : لا أعتقد هذا.
نادية : كان هذا يناسبك، ومع مرور الوقت ثَبُت أن هذا لا يناسبها، فتخلصت هى منهُ، ولكنك لم تتخلص، فهل كانت الأمور حقاً أكثر تعقيداً من هذا ؟
(لأول مرة تلمس أوليفر، تنظر نادية إليه وهى على وشك الضحك قبل أن تتحرك بعيداً، يتحدث أوليفربهدوء.)
أوليفر : أعتقد أن الأمور كانت أكثر تعقيداً من هذا.
نادية : فى الواقع، لا يمكننى تصديق هذا، لقد جلست بالأمس هنا ، فقد كنت جالسة هنا...
أوليفر : وبعد هذا ؟
نادية : كنت أتناول فطورى، جعلتنى أشعر شعوراً فظيعاً، آثرت اشمئزازى بشأن الذهاب لمقابلة رئيسى...
أوليفر : أى اشمئزاز ؟ إننى لا أتذكر أنى أثرت اشمئزازك.
نادية : وكأنك يمكنك الحكم على ! وكأنك من حقك الحكم على !
(ترفع نادية صوتها مرة ثانية، وهى واثقة من جديد مما تريد أن تقول.)
نادية : إن الشىء المضحك هو أننى لم أبال فى ذلك الحين.
أوليفر : ما الذى لم تبالى به ؟
نادية : استجوابى.
أوليفر : أوه، هيا ! استجواب !
نادية : إننى حتى لم ألاحظ، ففى ذلك الوقت كنت أعتقد فقط، أوه، أن هذا رجل إنجليزى لقد سمعت عن هذا : فهذا نوع من الرجال يجلس فى حديقته، ويعتقد أنه من المهين أن يتورط فى أى شىء.
أوليفر : أهذا أنا ؟ هل المقصود من ذلك هو وصفى ؟
نادية : ساحراً جداً، ولكنك قاتل.
(تهز نادية رأسها.)
نادية : وبعد ذلك استيقظت.
أوليفر : ومتى كان هذا ؟
نادية : منذ ساعة فقط، فقد كنت نائمة هناك فى السرير، ومع أول نوبة امتعاض فكرت فى أننى لست ببهيمة، فلم أت إلى هنا لاستجوابى.
(تنظر إليه نادية لحظة.)
نادية : إذا كنت حقاً تريد أن تعرف، فإننى لم أذهب للبيت الأبيض لأننى كنت موهومة.

أوليفر : بالطبع لا.
نادية : إننى لم أذهب من أجل نفسى، فلقد ذهبت لأننى ظننت أن هذا أمرا ضروريا.
أوليفر : بالتأكيد.
نادية : ذهبت لأننى اعتقدت أن هذا قد يكون مفيداً، فربما يستحق العناء.
أوليفر : إننى متأكد، إننى متأكد أنك فعلت هذا.
(تنتظر نادية.)
نادية : حسناً، ما الخطأ فى ذلك ؟
أوليفر : لم أقل إنه كان خطأ.
نادية : ما هو البديل ؟ نستسلم فقط، أليس كذلك ؟
أوليفر : بالطبع لا.
نادية : هل يستسلم من تبقى منا ؟
(لا يقول أوليفر شيئا.)
نادية : إنه من السهل، أليس كذلك ؟ إنه من السهل، موقفك ؟
أوليفر : ألدى موقف ؟
نادية : نظل فى البيت، لانفعل شيئا، معتقدين أننا ألأفضل، ونقول إن هذه الإدارة ما هى إلا مجموعة من المدمنين والمجرمين البائسين ؟
أوليفر : حسناً، يمكنكِ قول هذا ولن تكونى مخطئة إلى حد كبير.
نادية : نعم، ولكن سواءٌ شئت أم أبيت، فهم الحزب الموجود فى السلطة.
أوليفر : بالطبع.
نادية : إنهم الشباب.
أوليفر : بالطبع.
نادية : وماذا تفعل بشأن الحقيقة القائلة بأنهم كانوا على حق هذه المرة، فأياً كانوا لعن الله أيديولوجيتهم، لعن الله أخلاقهم، ولعن الله صفقاتهم التجارية - ولكنى أتفق معهم فى شىء واحد أساسى ألا وهو أنها ليست بالفكرة السيئة عندما يعانى الناس – عندما تُواجه بحجم تلك المعاناة، فإنك تتصرف. إنك تمد يد العون.
(وقد رفعت نادية صوتها مرة ثانية، وينظر أوليفر مرة ثانية للمنزل.)
أوليفر : حسناً، ليس هناك حاجة للقفز من فوق مبنى.
نادية : لن أقفز.
أوليفر : دفاعاً أو ماذا ؟
نادية : أوه، إننا جميعاً ندافع، أليس كذلك ؟ أليس لدى كلانا أشياء ندافع عنها ؟
(ينظر إليها أوليفر، وهو مصدوم قليلاً.)
نادية : نعم، بالتأكيد إنكم أنتم الجيل الذى تحدث عن المُثل، فهل فهمت هذا على نحو صحيح ؟
أوليفر : تقريباً.
نادية : فكل شىء كان لابد أن يكون مثلا أعلى.
أوليفر : وهكذا ؟
نادية : كان كل شىء مسألة مبدأ ! فربما قد لاحظت – أننا عمليون أكثر، ماذا قلت لك ؟ إننى أعجب بالناس العمليين، إننا لا نزخرف كل شىء فى شكل فلسفة خيالية، إننا نتعامل مع الواقع.
(تهز نادية رأسها وهى تشعر بمرارة متحدثة من القلب.)
نادية : "الأحقاد القديمة" إن هذا ما يقولونه دائماً لنا، ففى البلقان سئمت من سماع تلك العبارة: "الأحقاد القديمة" فحينما حاول الناس تفسير ما كان يحدث. أوه، نعم، فالناس يفضلون ترديد كلمة الأحقاد القديمة، وإذا كان الأمر ضغينة قديمة، فما الذى يمكنك فعله ؟ إنك لم تكن مضطرا لفعل

أى شىء. يحكون لك طوال الوقت عما يحدث فى إسرائيل، وفى فلسطين، وفى البوسنة، وفى الشيشان، وفى أيرلندا" أوه، ليس هناك شيئ تستطيع فعله حتى يقرر هؤلاء المجانين الامتناع عن قتل بعضهم بعضاً، إنهم يحبون قتل بعضهم بعضاً" حسناً، إن هذا لم يكن حقيقى أبداً، وإنما ما هو حقيقى هو أنه أينما يوجد تاريخ من العنف، يمكنك أن تكون متأكداً من أنك ستجد سياسيين عديمي الضمير يحاولون إستغلال الموقف. ولكن هناك دائماً أسبابًا منطقية فى الخفاء ، وتكون "الأحقاد القديمة" هى فقط العبارة التى يلجئون إليها عندما لا يريدون أن يزعجوا أنفسهم بعمل شىء على الإطلاق.

(تنظر نادية إلى أوليفر.)

نادية : لقد أخذ الأمر من أمريكا سنوات، ويمكنك القول بأنه قد أخذ منا قروناً لنفهم أننا لدينا مسئوليات، فكان الجميع يتوسل إلينا قائلاً "العب دورك فى العالم"وعندما نبدأ فى لعب دورنا، فالجميع يبدأ بالصراخ قائلاً "أوه، لا، إنك تلعبه بالطريقة الخطأ" هل تعرف كم كان هذا صعباً ؟ هل لديك أى فكرة ؟

أوليفر : لدى.

نادية : كانت هذه حكومة انعزالية ! تشك في كل شىء ليس هدفه الحصول على الأصوات، وتكوين الثروة. ألا تعتقد أننى لم أعان فى الحرم الجامعى ؟ فكان الأولاد الذين لديهم سيارات دفع رباعى، ولديهم صناديق ائتمان خاصة تحتوي على مائة ألف دولار فى العام يأتون، وهم يرتدون بنطلونات جينز ضيقة وتى- شيرتات ، قائلين " أوه، إنها مسألة مبدأ، فلن أحضر محاضرة نادية بلاى ".

أوليفر : هل حدث هذا بالفعل ؟

نادية : لم يكن يريد أحد أن ينصت، لم يكن يريد أحد أن يسمع. كان يمكن أن أكون فى خنادق، وكان يمكن أن يُطلق على النار كل متمرد على وجه البسيطة – وكان الأولاد يأتون مزمجرين قائلين لى "مرحباً، ألم تذهبى إلى البيت الأبيض ؟ ألستِ أنت المرأة التى تحدثت مع جورج بوش ؟".

(تتحرك نادية مندفعة بعيداً.)

نادية : ماذا تعتقد ؟ ماذا تعتقد كيف بدا هذا ؟ ففى ذلك اليوم ذهبت إلى واشنطن...

أوليفر : لا أستطيع تصور هذا.

نادية : إن هذا حقيقي. دخلت البيت الأبيض فى ذلك اليوم، كنت أعتقد أن هذا أغرب شىء فعلته فى حياتى.

أوليفر : إننى متأكد.

نادية : من هؤلاء الناس ؟ ماذا أفعل هنا ؟ وحينئذ تتذكر أنك موجود للدفاع عن الديمقراطية. نعم. الحرية، ولذا، فى الواقع ، عندما يصل الأمر إلى هذا الحد يكون هناك "مبدأ" واحد فقط سأقول لك ما هو ذلك المبدأ: اكشف عن سواعدك، وضع شخصيتك جانباً وابدأ فى العمل.

(نادية أهدأ الآن وعواطفها طبيعية.)

نادية : إن السبب الوحيد لوجودك هناك، سبب حديثك للرئيس، هو أنه صادف وكنت خبيراً فى مسائل مثل هذه، أليس من الأفضل الحديث مع أناس ليس بيننا وبينهم مصالح ؟ أليس ذلك أفضل ؟ أليس ذلك أكثر نفعاً من مجرد الحديث لأنفسنا ؟

أوليفر : أجل.

(يبتسم أوليفر.)

أوليفر : نعم بكل ما تحمل الكلمة من معنى. إن هذا أفضل، فأنتِ تفترضين دائماً أن الناس ينصتون.

نادية : بالطبع.

أوليفر : إن هذا افتراض مهم تماماً، أليس كذلك ؟

(تنظر إليه نادية فقط، إنها قلقة الآن ومتوترة.)
أوليفر : وعليكِ أن تفكرى فى احتمال آخر، أليس كذلك ؟
نادية : ما هذا ؟ ما هذا الاحتمال الآخر ؟
أوليفر : لابد وأنه قد خطر ببالك أن تكونى حذرة من أن لا يتم استغلالك ؟
(نادية هادئة، ولم تعد تقاومه.)
نادية : نعم، بالطبع أقبل هذا، أعرف هذا، بالطبع إنى أفعل.
(يهز أوليفر كتفيه هزة بسيطة.)
أوليفر : على أية حال إنى لا اعرف ماذا قلت للرئيس.
نادية : لا، إنك لا تعرف.
أوليفر : لم أكن هناك.
نادية : لا، لم تكن.
أوليفر : يمكننى التخمين فقط، إنى أفترض أنه لست أنت التى قلت "إفعل هذا بغض النظر عما إذا كان شرعياً" أفترض أنك لم تقولى "اسقط قنابل حيثما شئت. لا تأخذ مستشفيات ميدانية، ومحاميين، ومهندسى صحة، وأطباء، أو أى جهاز من الأجهزة التى قد يحتاجها بالفعل أى مجتمع متحضر. إنسى هؤلاء لا تأخذ عددا كافيا من الجنود. فجر فقط وتمنى الأفضل"إننى لا أستطيع تخيل أن تقولى هذا.
(ينتظر أوليفر. الجو هادئ الآن جداً.)
أوليفر : أفترض أنك لم تقولى "كن متأكداً ألا تضع خطة للمجتمع المدنى، لا تأخذ فى بالك الرأى الدولى، اجمع معلومات مخابراتيه من أفسد وأخس عناصر فى البلد، صرح بالتعذيب. تجاهل الاعتراضات لا تسمع الانتقادات، فبطريقة أو بأخرى بفضل الله سوف يأتى النظام من اللا نظام ."
نادية : إنك على حق، لم أقل هذا.
أوليفر : إنك لم تقولى " ليس هناك مشكلة إن قتل عشرات الآلاف من الناس طالما أنهم ليسوا أمريكيين..."
(كلاهما صامت، وأخيراً توافق نادية.)
نادية : يا إلهى يا لها من فوضى.
أوليفر : يمكنك أن تقولى هذا.
نادية : إننا بالتأكيد قد صنعنا فوضى من هذا، أليس كذلك ؟ يا إلهى إنى مرهقة جداً.
(تتأثر نادية، وهناك دموع فى عينيها مرة ثانية.)
نادية : إنه من الأسهل كثيراً ألا تفعل شيئاً عن أن تفعله.
(يمد أوليفر يده وتمسكها نادية، يلى صمت. يجلس هو، وتقف هى، وقد أمسك كل منهما بيد الآخر. حينئذ وبعد لحظة تهز نادية رأسها، وتذهب وتجلس على منضدة العشاء المهجورة.)
نادية : هذا حقيقى، كما خمنت.
أوليفر : ما هو الحقيقى ؟
نادية : كان لدى علاقة.
(لا يتحرك أوليفر.)
نادية : كنت على علاقة بصحفى بولندى. كنت معه فى البلقان، وبعد ذلك، وكما رسم القدر، كان هوأول شخص قابلته عندما وصلت بغداد بالسيارة، وهو ما يمكن أن تسميه بالمراسل العنيد بمعنى أن هناك احتمال كبير أن يقتل، بمعنى أيضاً: أنه لا يهتم بأى شىء بما فى ذلك حياته.
أوليفر : إن هذا صعب.
نادية : إنه صعب على أى أحد آخر بما فى ذلك نفسى.

(تفكر نادية لحظة.)

نادية : كان طوله ستة أقدام، كان نحيفا على هيئة قطعة طويلة من العظم، محترفا بمعنى: أنه ليس له أراء، فهو يقول الآراء للأغبياء، أوه، كان يغضب، كان يتورط، ولكن هذه هي الوظيفة التي يحبها، كان واضح، إنه كان يقول إنه لا يمكنه العيش فى الغرب.

أوليفر : إن ما تقولينه هو أنه بطل.

نادية : نعم، إنه لا يبالى بسلامته الشخصية، وفى المساء ... يحب أن يشرب الخمر.

أوليفر : وما اسمه ؟

نادية : ما ريك.

(تنظر نادية بعيداً.)

نادية : لم أستطع فهم الموضوع. لقد أخرج ما بداخلى، مثل تنظيف سمكة. إننى لم أعرف أبداً شيئا كهذا، كنت غيورة. أوه، ليست غيرة عادية، ولكنى كنت أريد أن أحيا مثله. كنت خائفة قليلاً. اعتقدت أننى لن أستطيع عمل شىء، لن أستطيع أن أعمل – لن أستطيع أن أنام، كان هذا الشعور سيقتلنى.

(تهزة نادية رأسها هزة بسيطة.)

نادية : على أى حال عدت إلى أمريكا وقابلت فيليب. ستظن أننى حقيرة.

أوليفر : لا.

نادية : أريد أن أخبرك شيئاً ما، يجب ألا أخبرك إنك سوف تكرهنى لقولى هذا.

أوليفر : من فضلك.

نادية : كنت أعتقد أننى إن عشت عيشة هادئة مع فيليب، سوف أنحى حياتى الخاصة جانبا.

(يجلس أوليفر مرة ثانية كما لو كان هذا ما كان ينتظره.)

نادية : إن هذا ما حدث.

أوليفر : أفهم.

نادية : لقد كان الأمر سلمياً جداً، لقد كنت فى سلام. استمريت فى عملى.

أوليفر : إن هذا شىء جيد.

نادية : لم يزعجنى الطلاب. لم يؤثر فى ما كان يحدث فى الحرم الجامعى.

أوليفر : هذا طيب.

نادية : ولماذا يؤثر هذا فى؟ طالما أن فيليب دائماً موجود، إنه موجود عندما تحتاجه.

أوليفر : هل يعرف ذلك ؟

نادية : أوه نعم.

أوليفر : وبخصوص من سبقه ؟

نادية : بالتأكيد.

أوليفر : ألم يبال ؟

(لا تجيب نادية.)

أوليفر: إن ما أسأله هو: هل يستطيع التعايش مع هذا الفارق ؟

(تنظر نادية إلى أوليفر نظرة حادة.)

نادية : إنه لم يكن الثانى لو كان هذا ما ترمى إليه.

أوليفر : لم أقصد ذلك.

نادية : جيد، إنه مختلف، إنه أكثر مرحاً.

أوليفر : وأكثر مرحاً أفضل ؟

(تتردد نادية.)

نادية : كنت أعتقد ذلك، نعم بدأت أعتقد ذلك حتى جئت إلى هنا.

(يظهر فيليب ظهوراً صامتاً من خلفهم، وهو يرتدى ملابس ليلية. إنه هادئ جداً.)

فيليب : ها أنت هنا.
نادية : نعم كنت أتحدث لوالدك.
فيليب : أستطيع أن أرى، كنت أحلم، حلمت أنك لم تكونى بجانبى، وحينئذ استيقظت.
نادية : فيليب...
فيليب : إن كل شىء على ما يرام.
نادية : لقد كنا نتحدث فقط.
فيليب : وما الذى يمكن أن تفعلوه غير ذلك ؟ كم الساعة الآن ؟
أوليفر : إنها دون السادسة.
(يمشى فيليب حافى القدمين فى الحديقة، وكلاهما يشاهدان.)
فيليب : إنه لصباح جميل.
أوليفر : إنه.
فيليب : بالطبع هذا ما لا تجدينه فى أمريكا.
أوليفر : ما هذا ؟
فيليب : الجمال، جمال الفجر. إن نادية تستيقظ مبكراً، ولذا فإنها دائماً ما تكون فى العمل عندما أستيقظ. انظر من النافذة للحظة إنه الوقت الوحيد من اليوم عندما أشعر بالاشتياق.
(يعم صمتاً، ولا يجرؤأحد على الكلام.)
أوليفر : ماذا يحدث بعد ذلك ؟
فيليب : أذهب لعمل القهوة وابتهج.
(يلتفت فيليب.)
فيليب : سوف أعد لكم بعض القهوة الآن، أتريدون أن تشربوا قهوة ؟
أوليفر : سأعدها أنا، يمكننى أن أعدها.
(يرن جهاز استدعاء أوليفر.)
نادية : ما هذا ؟
أوليفر : من المحتمل أن يكون مريضاً إننى أراقب من يحتضرون، إنه أحد المرضى الذين أعالجهم، ربما أكون مضطراً إلى الذهاب، على أية حال إعذرونى.
(ينهض أوليفر، ويخرج ويأخذ معه بعض الأطباق المتسخة.)
نادية : حسناً ؟
(لا يقول فيليب شيئاً.)
نادية : حسناً.
(لا يجيب فيليب.)
نادية : هل أنت غاضب ؟
فيليب : ولماذا أكون غاضباً ؟
نادية : هذا جيد إذاً.
(يعم الصمتٌ ثانية.)
نادية : إنه لم يتلفظ بكلمة واحدة تسئ إليك من قريب أو بعيد.
فيليب : بالطبع لا، إنه ليس غبياً.
نادية : ما الذى يعنيه هذا ؟
فيليب : لديه إستراتيجيه.
(يهز فيليب رأسه هزه خفيفه.)
فيليب : أعلم أنك قد نهضت من الفراش، لم أكن بحاجه للبحث، كنت أعرف أنك سوف تذهبين إليه.

نادية : أكنت مستيقظا ؟

(لا يجيب فيليب.)

نادية : كما صادف، لم أكن أبحث عنه، لم يخطر هذا ببالى. كنت ببساطة أشعر بدوار، لم أكن حتى أعرف أنه موجود بالخارج.

فيليب : ألم تعرفى ؟

(يعم صمتاً.)

نادية : تحدث لى يا فيليب، إنك تلجأ للصمت، إنك تستخدم الصمت كسلاح ضدى قل لى، ما هو الخطأ ؟

(يلتفت فيليب وينظر إليها.)

فيليب : يريد منكِ أن تتركينى، إنى أعرفه إن هذا ما يريده، يريد أن يفرق بيننا.

نادية : ولماذا يريد هذا ؟

فيليب : إنه غيور.

نادية : لماذا هو غيور ؟

فيليب : أليس هذا واضحاً ؟

نادية : أخبرنى.

فيليب : لأن لدينا شىء لم يكن عنده أبداً.

(صمت ينظر فيليب إليها ويهز رأسه كما لو كان يعرف أنه على حق.)

نادية : و ؟

فيليب : وماذا ؟

نادية : وحتى إن كان هذا حقيقيا، فلماذا أتركك ؟

(لا يجيب فيليب.)

نادية : ما السبب الذى يجعلنى أتركك ؟

(فيليب هادئ ونادم.)

فيليب : كان لدى فكرة بأننا منسجمون تماماً عندما تقابلنا، كان كلانا لديه نفس النظرة إلى العالم، ما يمكن أن تسميه أنه اتجاه لفعل الخير أساساً. إننا نفضل الموت على أن نقول هذا، ولكن أليس لدينا هذا الشىء الخاص بالمحاولة لتقديم العون ؟

نادية : ولذا ؟

فيليب : إنه غريب لقد سافرتِ أكثر مما سافرت، لقد رأيتِ أكثر منى بكثير، ولكنكِ مازلت تعتقدين أن العالم منشغل بالجدل والتعقل إنكِ جاهلة بالسلطة، إن هذا أمر مضحك، إنكِ لا تفهمين السلطة، إن الأمر يبدو وكأن هناك جانباً مفقوداً من الطريقة التى ترين بها الناس وهم يتصرفون. إنكِ تثقين فى نواياهم الحسنة.

نادية : ألا تفعل هذا ؟

فيليب : عندما أقرأ ما تكتبين – أشعر إنكِ ساذجة.

نادية : أنا لست ساذجة.

(يبتسم فيليب وهو هادئ.)

فيليب : لقد ولدت لأبوين تعيسين، أتذكرين ؟ ولذا فإنى أرى الأمور بطريقة مختلفة. كنت أستيقظ كل صباح على والدايّ وهما يمزقان بعضهما بعضاً. إن هذا هو السبب أننى جاريت كل واحد، إن هذا ما أجيده، التوفيق بين الناس، لقد فعلت هذا طوال حياتى.

نادية : حسناً.

فيليب : حتى مساء أمس حذرتكِ منه، قلت كونى حذرة، طلبت منكِ أن تكونى حذرة، ولكنكِ تجاهلتينى عن قصد.

(يعود أوليفر ومعه صينية.)

أوليفر : إنها رسالة نصية، إننا نفقدها.
نادية : من هذه ؟
أوليفر : مريضة، إن كل شيء على ما يرام. لم أكن مضطراً للذهاب فوراً، فقد كان لديها وقت قليل متبق.
(فيليب ثابت. هناك حزم جديد فى طريقته.)
فيليب : ما ذا قلت لنادية ؟
أوليفر : قلت لها ؟
فيليب : بخصوص ماضيك.
(يلى صمت، وينظر أوليفر إلى ابنه نظرة ارتياب.)
أوليفر : أوه، فهمت.
فيليب : نعم.
أوليفر : بعضاً منه، القليل.
فيليب : لم أخبرها أبداً بشيئ مما حدث.
أوليفر : هذا واضح.
فيليب : فكرت أن أشرح لها ونحن فى الطريق إلى هنا، وحينئذ ظننت أنه من الأفضل أن يكون لها حكمها الخاص بها.
أوليفر : كان هذا عطفاً منك.
فيليب : اعتقدت أننى أفضل تلك الطريقة، ولكن تَبُت فى النهاية أننى كنت مخطئاً.
(يفكر أوليفر فيما قاله فيليب تواً، وتنظر نادية إليهما.)
نادية : يا فيليب، ماذا يجرى ؟ ماذا يحدث ؟
أوليفر : هل تريد أن أخبرها ؟
فيليب : نعم.
أوليفر : لماذا، بالتحديد ؟
فيليب : أود أن تعرف.
(ينتظر فيليب، ويهز أوليفر كتفيه هزة بسيطة.)
أوليفر : بالطبع، إذا كان هذا ما تريده، على أية حال كل إنسان على راحته يمكننى الشعور بهذا من حولى. لقد عشت هنا لسنوات، ولكن الناس مازالوا يهمسون. إن هذا شيء مضحك، فأحياناً أصمم أن أكون ناسكا ولكننى أستيقظ وأجد نفسى منبوذاً.
نادية : هل هذا بخصوص الشخص الذى قتلته ؟
(فترة صمت أخرى.)
أوليفر : نعم ذلك الشخص، وكما صادف فإن هذا ما أنهى زواجى، لقد كانت حادثة.
نادية : حسناً إننى لم أتخيل أنك قتلت شخصاً متعمداً.
أوليفر : لا.
(ينظر فيليب لأسفل.)
فيليب : إعذرينى سوف أحضر القهوة.
أوليفر : افعل هذا.
(يذهب فيليب، وينظر أوليفر إليها لحظة.)
أوليفر : حسناً جداً، لابد أن تفهمى، فأنا لا أعرف إذا كنت تعرفين هذا، إن المعدة مقسمة إلى عدة تخصصات يتم توزيعها بين متخصصين كثيرين ومتعددين، كنت أخصائيا فى الكلى كنت الرجل المناسب، الرجل الذى تذهبين إليه بطريقة سخيفة ومغرورة كما يفعل الناس "من هو الأفضل ؟

من هو الأفضل فى الكلى ؟" "إن لوكس هو الأفضل فى الكلى " أصبحت ثريا جداً ومغرورا جداً، متعجرفا كما يفعل الأطباء، كنت دائماً مندفعاً، عادةً لأننى كنت فى المكان الخطأ.

(يتوقف أوليفر للحظة.)

نادية : وهكذا ؟

أوليفر : حسناً، أخبرتكِ لم تكن هناك قواعد فى زواجنا، ومن الناحية الأخرى وصلت الأمور إلى حد أنى كنت أعود للبيت كل مساء لأتلقى ساعات من التوبيخ، ولذا تأكدت بوجه عام... أن الأمر كان أسهل إن لم أكن متأخراً، كنت أقضى اليوم فى الريف شرق أنجيليا، كنت عائداً بالسيارة.

نادية : هل كنت مخموراً ؟

أوليفر : لا، لقد قضيت فترة العصر فى فراشٍ مع صديقة، رحلت حوالى الساعة الخامسة كنت أعتقد أننى إذا استطعت الوصول للمنزل على العشاء، فإننى يمكننى تجنب المشهد المحتوم، كنت أقود على طريق ريفى كان الرجل بمفرده، كان فى منتصف الثمانينيات من عمره، كان فى واحدة من هؤلاء، إنى لا أعرف أبداً ماذا تسمونهم، سيارات مكشوفة، سيارات بلا سقف. على أية حال، سيارات ليست حقاً سيارات، اصطدم بى مباشرةً إنه لم يرنى أبداً، فقد أعطيت إشارة خطأ.

(ينظر أوليفر مباشرة إليها.)

أوليفر : قالت الشرطة فيما بعد إن هذا لم يكن ليصنع فرقاً، فقد كان الخطأ مشتركا. نعم، لقد أعطيت إشارة يساراً وأنا أنوى أن أتجه يميناً، ولكن هذا الرجل كان على الجانب الخطأ من الطريق.

(يتوقف أوليفر للحظة وهو يفكر.)

أوليفر : يمكنكِ القول بالضبط أنه كان سيموت على أية حال.

نادية : كان فى الثمانينيات من عمره.

أوليفر : هذا صحيح، أحياناً فى المستشفى، اعتدنا أن يخطر ببالنا أننا نبذل ما فى وسعنا لننقذ مريضاً سوف يموت فى خلال عامين، ولكن هذا هو العمر، إننى لم أفقد إيمانى أبداً بهذا.

نادية : وما هو العمر ؟

أوليفر : الحياة على كل الأحوال.

(ينظر أوليفر لنادية، ومن الواضح أنه يتكلم بشكل عفوى.)

أوليفر : قتلت أيضاً امرأة.

نادية : ماذا ؟

أوليفر : نعم، ماتت وهى بجانبى فى التصادم كنت أوصلها وأنا عائداً إلى لندن.

(صمت.)

نادية : إنى أفهم.

أوليفر : قتلت فى الحال، اصطدمنا ووضعتها على الطريق، حظٌ عاثر صدمت رأسها فى جهة منحوسة، وكان الضرر الظاهر قليلا جداً، كانت تربط وشاحا حريريا حول عنقها، كانت غارقة فى دمائها، كان منظرا صادما جداً فيما عدا ذلك لم يكن هناك شيئ.

نادية : ومن كانت هى ؟

أوليفر : قابلتها فى حفل، يمكنك أن تقولى إننى لم أكن حتى أعرفها، ولكننى بالطبع عرفتها لقد قضينا عدة فترات بعد الظهيرة معاً، ولكننى لا... أوه، يا إلهى ثَبُتَ أنها أخبرتنى كل أنواع الأكاذيب تقريباً لم تقل لى شيئا صحيحا. كانت خيالية، وكانت متزوجة، وهذا شيء تعمدت إخفاءه ليس لأننى سألت، فلم تكن هذه هى طبيعة المغامرة، ولكن مع ذلك.

(نادية مصدومة وصامته.)

نادية : يا إلهى.

أوليفر : بالضبط من الفراش إلى جانب الطريق.

نادية : كم كانت تبلغ من العمر ؟

أوليفر : كانت صغيرة، أصغر منى، كان هناك زوجها... رجل يستحيل التعامل معه، وكان واضحاً أنه يريد مقاضاتى، تقدم بكثير من الشكاوى للمجلس الطبى العام، ولكن كانت هذه حادثة، فأنا لم أرتكب خطأ من الناحية النظرية على أية حال.

(يستغرق أوليفر فى التفكير.)

أوليفر : إنه ماركس على ما أعتقد الذى قال إن الخجل هو العاطفة الثورية الوحيدة، وهكذا أعطيتها كل شىء.

نادية : هل تقصد بولين ؟

أوليفر : أعطيتها المنزل، وكل قرش أمتلكه.

نادية : هل تركت مهنتك ؟

أوليفر : لقد فعلت.

نادية : وجئت هنا ؟

أوليفر : تركت لندن، وجئت أعيش فى شروبشاير إن هذا صحيح.

(يعود فيليب وهو يحمل إبريق قهوة، ويقف على بعدٍ قليل.)

أوليفر : بالطبع بالنسبة لبولين – وبالنسبة لفيليب أيضاً – كانت المسألة بسيطة، كانت زوجتى دائماً تقول إننى شخص حقير. وأخيراً وُجِدَ الدليل. اكتشفت ما تفعله عدالة السماء، لقد كان هذا ما أستحقه.

(يبتسم أوليفر وهو غير مبتهج.)

أوليفر : بالنسبة لى لقد تعبت من تبرير أفعالي لمخلوق آخر. رحلت، جئت إلى هنا لكي أكون ممارسا عاما. لم أكن بحاجة إلى هذا، ولكن كان شيئاً مريحا أن تعيش بعيداً عن الضوضاء، كنت بحاجة إلى مال يكفى لأن أعيش وأشرب نبيذاً لائقاً واشترى كتباً. فلماذا أحتاج مالاً لأضعه فى بنك ؟

(يهدأ أوليفر الآن.)

أوليفر : بالنسبة لى، كما ترين كان الدرس مختلفاً لم يكن كما يعتقده فيليب، كان الدرس بالنسبة لى: أنكِ تحتاج فقط لحظة من عدم الانتباه، لحظة واحدة فقط.

نادية : انتقلت بعيداً.

أوليفر : نعم إلى مكانٍ لا أسبب فيه ضرراً.

نادية : هل مازلت تقود سيارة ؟

أوليفر : ببطء شديد.

(ينظر أوليفر إليها.)

أوليفر : إننى أرى الحياة علي حقيقتها، فهى هشة. أرى كل لحظة كما هى، فكل لحظة: تكون كارثية وفى كل الأحوال أحاول أن آخذ حذرى.

(صمت، مازال أوليفر لا يرى فيليب الذى يتحدث دون تحرك.)

فيليب : يا نادية، ربما تكون فكرة جيدة أن نرحل الآن.

(نادية وأوليفر يلتفتان وهما مذهولان.)

نادية : معذرة ؟

فيليب : مبكراً.

أوليفر : يا فيليب...

فيليب : بما أننا جميعا مستيقظون لمَ لا ؟ كنت أفكر فى الطريقة التى نستطيع بها رؤية شىء لا نستطيع رؤيته بطريقة سواها، إن الطريق إلى ساحل ويلز رائع يجب أن تراه نادية، وهو فى أفضل أحواله.

(فيليب مصمم، ويقف ولا يتحرك تنظر نادية إليهما. الآن قد طلع الفجر، وتتساقط آشعة الشمس على المنضدة، ويقف الأب والابن ينظران إلى بعضهما البعض.)

نادية : معذرة.

أوليفر : بالطبع.

(تخرج نادية.)

أوليفر : يا فيليب ما هذا ؟ اشرح لى.

فيليب : لماذا تحدثت إليها ؟ لم اضطررت للحديث إليها يا والدى ؟

أوليفر : كانت صدفة، صادف أننى كنت أجلس فى الحديقة.

فيليب : فى وسط الليل ؟

أوليفر : نعم كنت أقرأ كتاباً فى اللغويات بدأ الناس يشعرون أنه ربما يكون المفتاح لمعرفة الشعور.

فيليب : إنها صدفة، أليس كذلك ؟

أوليفر : ما ذا تقصد ؟

فيليب : إنها صدفة أن تنهض من فراشى ؟

أوليفر : إنها، أجل، صدفة.

فيليب : وهل تحدثتما عنى ؟

أوليفر : باختصار، ولكن ليس على وجه الحصر لقد تحدثنا عن أناس آخرين أيضاً.

(يقف فيليب وهو مازال ممتعضاً.)

أوليفر : يا فيليب إننى لست إبليس.

فيليب : لم أقل أنك.

أوليفر : يمكنك أن تقضى حياتك وأنت غاضب من والدك، هذا ضياع حقاً.

(ينصت فيليب الآن.)

أوليفر : من تريد أن تفكر فيه على فراش موتك ؟

فيليب : إنى لا أريد أن أكون على فراش موتى.

أوليفر : لا، حسنا، ولا أنا، ولا أى أحد.

فيليب : ولذا ؟

أوليفر : أقول لك فى التسلسل العادى للأشياء، فإن هذا نذير شؤم لوأنك ترقد على فراش موتك مفكراً فى أبيك ! إن هذه ليست إشارة على حياة انقضت جيداً، أود أن أقول أنك لوكنت لاتزال تفكر فى أبيك، فإنك تعانى من مشاكل حقيقية.

فيليب : لن أفعل.

أوليفر : إن هذا لأمر جيد.

فيليب : لا تخدع نفسك، فلن أفعل هذا !

(لحظة صمت، وأوليفر هادئ.)

أوليفر : ينبغى أن تفكر فيها.

(ينظر فيليب، ولديه من الجرأة نصفها للوثوق فيه.)

أوليفر : إنى أقصد هذا إنها جديرة بهذا.

فيليب :حسناً.

أوليفر : إنها تستحق عمراً كاملاً.

فيليب : حقاً ؟

أوليفر : نعم.

فيليب : أتقصد هذا ؟ أتقصد هذا حقاً ؟

أوليفر : بالله عليك، إنها امرأة عظيمة، وأنت تعرف هذا، إنها رائعة، ومع ذلك، فإنك سوف تجد لديها ما يسميه الأمريكان قضايا، إنها لديها قضايا غير محسومة، ولديها بعض الأفكار الغبية التى لا يمكن تصديقها، ولكنك لا تستطيع أن تمتلك كل شىء.

فيليب : أى نوع من الأفكار هذه ؟

أوليفر : إنها تعتقد أنه يمكن أن تنحى حياتها الخاصة جانباً فى عزم مثير للإعجاب على مسايرة الأشياء التى تنظر إليها بوصفها أكثر أهمية. لقد جربت هذا. إنه لن يفلح.

فيليب : هل قلت لها هذا ؟

أوليفر : بالطبع لا.

فيليب : ما الذى تحدثتما عنه ؟

أوليفر : أوه...

فيليب : أحكى لى.

أوليفر : ليس بالشىء الكثير.

فيليب : أحكى لى من فضلك يا والدى.

(ينظر إليه أوليفر للحظة.)

أوليفر : تحدثنا عن أمك، العراق، المرأة التى قتلتها، السياسة، الحرية، والحب.

(تعود نادية وهى مرتدية ملابسها كاملة هادئة ومرحة.)

نادية : حسناً، إننى أوافق على أننا لن نقود فى اتجاه مكان معين.

أوليفر : حسناً جداً.

نادية : إنى سعيدة دعنا نفعل هذا، دعنا نقضى اليوم فى اللعب والشعور بالندم.

أوليفر : تناولى بعضاً من القهوة أولاً، دعينى أحضر الفناجين.

فيليب : يا أبى.

أوليفر : دعنى أفعل إنى أود على الأقل أن أتناول شىء ما قبل رحيلكما.

(يذهب، ويترك نادية وفيليب بمفردهما.)

نادية : إنى أسفه.

فيليب : لا، لا. إنه أنا الذى ينبغى أن يكون أسفاً، إنى لا أعلم ماذا حدث. لقد ظننت أنه يحاول إغراءك، إنى أعتذر. يمكننا البقاء إن شئتِ.

(لا تقول نادية شيئاً.)

فيليب : إنى أشعر بالحماقة.

نادية : لا تشعر.

(تنظر نادية إليه، وبعد ذلك تتخذ قراراً.)

نادية : أعتقد أنك على حق يجب أن نرحل.

(يتحركان معاً، ويقبلان بعضهما يقفان متعانقان، وهما ينظران إلى أعين بعضهما، وبعد ذلك ينفصلان، ولا أحد منهم يعرف ماذا يفعل لقد حسم الأمر إلا أنه لم يحسم، تمر بعض اللحظات.)

نادية : يا فيليب، إننى لم أكن أقصد جرح مشاعرك.

فيليب : إنكِ لم تجرحينى حقاً.

(يبتسم فيليب.)

فيليب : إننا جميعاً تم تربيتنا على أن نعتقد أن أهم ما فى الحياة هو أن نكون صادقين مع أنفسنا، إن هذا ما اعتقده أبى "يجب أن أكون صادقاً مع نفسى" حسناً، إنه هراء، إنه هراء.

نادية : لماذا ؟

فيليب : إن ما يهم هو كيفية تصرفك تجاه الآخرين، إن هذا ما يهم يا نادية، أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟

(ينتظر فيليب رد ا ، ولكن قبل أن ترد يعود أوليفر بصينية عليها أكواب وبسكويت.)
أوليفر : تفضلوا. دعونا نتناول القهوة وبعد ذلك، فإننى مضطر للذهاب والاعتناء بشخص يحتضر.
فيليب : حقاً ؟ هل أنت مضطر إلى ذلك ؟ لماذا أنت مضطر لذلك ؟
أوليفر : لأننى قلت أننى سوف أقوم بهذا.
نادية : إن هذا يبدو مبرراً جيداً.
أوليفر : الأفضل.
(يولى أوليفر انتباهاً كبيراً للفناجين وأصحنها. تمر لحظات قليلة، وكل واحد منهم مذهول من غرابة الموقف.)
أوليفر : هل هناك أحد يريد سكرا ؟
(ترفع نادية يدها، يضع أوليفر بالملعقة بعضاً من السكر فى فنجانها.)
أوليفر : فيليب، إنك دائماً تأخذ لبناً.
(يبتسمون لبعضهم البعض، ويناول كليهما القهوة.)
أوليفر : إن هذا جيد، إنه ممتاز.
(ينظر أوليفر للخارج إلى التلال.)
أوليفر : يا له من صباح رائع.
(يقف الثلاثة وهم يشربون قهوتهم بعصبية.)
نادية : سنقود بحذر.
أوليفر : من فضلكما افعلا.

المشهد الثالث

(أوليفر بمفرده.)
أوليفر : نزلت أسفل التل. جلست بجانب فراش مريضتى طوال اليوم، لقد كانت أقوى مما أعتقد، وكان جهاز استدعائى يرن، ولكننى تعلمت منذ سنوات أن أتعامل مع شىء واحد على حدة. افعل هذا الشىء بطريقة صحيحة، لقد فقدت المريضة حياتها فى وقت مبكر هذا المساء، لقد جلست معها حتى النهاية، وقلت لها الحقيقة.

المشهد الرابع

(مكتب نادية. ترتدى نادية مرة ثانية ملابس غير رسمية، وأمامها تقف تيرى شولز، وهى أمريكية أفريقية فى العشرين من عمرها. لم تخلع نادية سترتها، وتمسك مقالاً فى يدها. إنها منفعلة ولا تصدق.)
نادية : إننى لا أعرف، إننى لا أجد إجابة، إنكِ طالبة ذكية ، إنكِ أكثر من هذا ، إنكِ إنسان ذكى، ماذا تقولين بالفعل ؟ أهذا ما تعتقدين ؟ لا: "إنى مضطرة إلى كتابة مقال، ولذا من الأفضل أن أكتب شيئاً ما" ولكن: "إننى بالفعل أصدق هذا".
(لا تقول تيرى شيئاً.)
نادية : لأن، بعيداً عن أى شىء أعتقد أننا دائماً متفقتان – متفقتان تماماً، أهذا صحيح ؟ إنى لست بحاجة لأن أشرح هذا بالتفصيل، فالقاعدة الأولى لأى بحث أكاديمى: ليس كافياً أن تؤكدى، فالتأكيد فى حد ذاته لا قيمة له.
(تدافع نادية عن المقال مقتبسة.)
نادية : "لماذا ذهب بوش إلى الحرب ؟ لأنه استطاع" أى قول هذا ؟
(تيرى مازالت لا تقول شيئاً.)

نادية: "لأنه كان يعرف أنه سوف ينجح فى المهمة" هل تسمى هذه نظرية ؟ "بالنسبة لبوش ومن حوله ممارسة السلطة لم تكن كافية فى حد ذاتها، لم تذهب أمريكا إلى الحرب من أجل هدف بعينه، لم يكن للعراق صلة بالحرب على الإرهاب، وكان هذا مبررا لاختيارها كان غرض الحرب هو تعسفها لتثبت بالدليل والبرهان لأى عدو محتمل للولايات المتحدة أنه مهما كان بعيداً، أنه مهما كان ليس له علاقة بالموضوع، فإنه لا يجب على أحد أن يعتبر نفسه آمناً ".

(تبتسم نادية وتفتح الصفحات لتيرى)

نادية : أجل. إن هذا بحث شيق، ولكنه ليس مُؤيَدا بالأدلة، فربما لا يكون له التأثير الذى تأمليه.

(تنتظر نادية، ولكن تيرى لا تستجيب.)

نادية : أقصد، يا تيرى، إننى لا أعرف، فعلى سبيل المثال، إن هذا مثال فقط، إذا كنتى تريدى بالفعل أن تثبتى مثل هذا الشىء – فماذا ستقولين ؟ هل دخل بوش مكتبه بالبيت الأبيض ووضع دبوساً فى خريطة ؟ أوه نعم ؟ هل رأيتيه ؟ إن هذا ليس حواراً تليفزيونياً، إن هذا ليس حواراً إذاعياً، إنه ليس القول "دعينا ندخل الأستوديو ونقول أشياء غبية" إن هذا مقال فى فرع جاد من فروع المعرفة. أسباب وأصول الحرب على العراق.

(تهز نادية رأسها.)

نادية : يا إلهى، إنى أسمع هذه الأشياء - كما تستمعين، إنى لا أعرف ماذا حدث لبلدنا، ففجأة يتفاخر كل إنسان بنفسه. بيل – إنى لا أعرف كيف أعبر عن هذا – ولكن وجهة نظر جامعة بيل – ببساطة جداً – أن هذه يجب أن تكون منطقة حرة للتفاخر.

(تصحح نادية نفسها بسرعة.)

نادية : إننى بهذا – انظرى، لا أسميكى مختالة.

تيرى : شكراً.

نادية : أعرف أن هناك شىء مثل السَخَط، إنى أفعل، فعندما تكونى صغيرة يكون من الرائع أن تتظاهرى أن كل شىء ليس له معنى، إنه لشىء رائع، لماذا كل الطلاب لديهم ستائر سميكة ؟ لكى يستطيعوا أن يجلسوا فى الظلام ويستمتعوا بالكآبة، ولكننى إذا أخذت هذا المقال على محمل الجد، ولو أننى أغدقت عليك بشرف افتراض أنك تقصدين ما تقولين، فإن هذا أسوأ من الكآبة. قوة كامنة تندفع مثل الحيوان. إن الرسالة الوحيدة للسياسة – هى: أننا كما نحن عليه، لذا ابتعد عن طريقنا.

(تنظر إليها نادية مرة ثانية.)

نادية : ففى القرن التاسع عشر كان هناك حركة فى روسيا تسمى بالانهزامية، هل سمعتى عنها ؟

تيرى : بالتأكيد.

نادية : أعتقد أنك قد سمعتى.

تيرى : سمعت عنها.

نادية : هذه هى السخرية، من بين كل طلابى أنت إحدى القلائل الذين يعرفون ما هى، ولكن حقاً، ، هل تتذكرين ما الذى كانوا يؤمنون به ؟

تيرى : لا شىء.

نادية : إنهم لم يؤمنوا بشىء ! بالضبط !

تيرى : أفعال عنف عشوائية.

نادية : تماماً، إن هذا ما كانو ايؤمنون به، هل تؤمنى بهذا ؟

تيرى : لا إنى لا أفعل، إنى لاأؤمن.

نادية : حسناً، إن هذا جيد. إنه فقط الإيمان بالعدم، يا تيرى إن هناك تشاؤم فى هذا المقال هناك نوع مخيف من اليأس، هل ستخبرينى بما يحدث ؟

(لحظة صمت.)

تيرى : حسناً، سوف أخبرك.
نادية : أشكرك.
تيرى : لقد أنفصلت عن صديقى منذ أسبوعين.
نادية : لماذا ؟
تيرى : لقد هجرنى صديقى.
نادية : إنى أفهم.
(تكشر نادية.)
نادية : حسناً، إننى أسفه، إننى لا أعرف ما أقوله، إننى أسفه.
تيرى : إنكِ لستِ أسفه مثلى.
(كلاهما تبتسمان.)
نادية : لا.
تيرى : وفقدانه...
نادية : نعم ؟
تيرى : فقدانه... جعلنى أفكر بشدة، جعلنى أدرك كثيرا من الأشياء.
نادية : بخصوص السياسة الخارجية الأمريكية ؟
تيرى : لا، لا، ليس بخصوص هذا، إنه أكثر بخصوص كيف أننى لا أريد البقاء فى ييل.
نادية : تيرى...
تيرى : إننى لا أريد البقاء بدونه.
(تنظر نادية غير مصدقة.)
نادية : أوه، هيا...
تيرى : لا، إنى جادة.
نادية : أعرف أنكى جادة، وهذا هو السبب الذى جعلنى ساخطة.
تيرى : إن هذا ما أشعر به.
نادية : قد يكون هذا ما تشعرين به.
تيرى : إن هذا ما أشعر به.
نادية : إننى لا أستطيع أن أصدق أن شخصا موهوبا مثلك –عمل جاهداً للوصول إلى هنا فى المقام الأول – يفكر جدياً فى المغادرة بسبب فتى.
تيرى : إنه ليس أى فتى.
نادية : لا.
تيرى : إنه ليس مجرد فتى فقط.
نادية : أنا أسفه.
تيرى : كيف كنتى ستشعرين لو تحدثت عن شخص ما تعرفينه وأسميته "مجرد فتى" ؟
نادية : كان ينبغى ألا أقول هذا، إنى أعتذر.
(يعم صمت.)
تيرى : قابلته تقريباً فى أول يوم وصلت إلى هنا.
نادية : وبعد ذلك ؟
تيرى : على سبيل المثال، تُذكرنى كل لبنة فى هذا المكان به.
نادية : نعم، نعم إنى أفهم، لابد أن هذا جعل الأمر-
تيرى : لقد قضينا أسابيع كاملة بمفردنا.
نادية : بالتأكيد.
تيرى : فأحيانا كنا نغلق الباب وتمر أيامٌ.
(تدمع عينا تيرى قليلاً وهى متأثرة.)

تيرى : حسناً، ربما يكون هذا جزءاً من المشكلة، فإننى لم أشغل نفسى بتكوين صداقات أخرى، لم أكن محتاجه إلى هذا، كما أن بعضاً من الناس الذين قابلتهم لم يجعلونى أريد أن أقابل أناسًا أكثر.

نادية : لا.

تيرى : كما أننى لم أكن أريد الخروج فى الحرم الجامعى، وأراه مع أحد آخر، ولذا فإن هدف كل ذلك هو: أننى بذلت كثيراً من الجهد فى ذلك المقال، إنه مقال جاد، فربما يكون آخر شىء أكتبه.

(تنظر إليها نادية، وهى مستغرقة فى التفكير.)

نادية : إنه فقط – انظرى – إننى لست مستشارك...

تيرى : لا...

نادية : أنا معلمتك.

تيرى : هذا رائع، إنكِ لا يمكن أن تجرحينى، فلقد جُرحت كثيراً بما يكفى من ذى قبل.

نادية : حسناً.

(تنظر نادية نظرة عصبية تأملية.)

نادية : فقط: لدى فكرة عما تمرين به.

تيرى : هل لديك فكرة ؟

نادية : عن طريق صدفة مثيرة للاهتمام، ففى هذا الصيف انفصلت عن شخص ما أيضاً.

تيرى : لماذا ؟

نادية : لماذا ؟ حسناً، ذهبنا فى رحلة سخيفة إلى ويلز – أو بالأحرى بالقرب من ويلز – لقد كنا قريبين جداً من بعضنا، ومع ذلك، لسبب ما، عندما بدأت الحديث مع والده... أعتقد أننى بدأت أرى الابن بطريقة مختلفة. إنكِ قد تعتقدين أن هذا جائر حقاً.

تيرى : حسناً، إنه شىء جائر، أليس كذلك ؟

نادية : إننى لا أعتقد هذا.

تيرى : هل كان والده يحاول الاستحواذ على انتباهك ؟

نادية : إن هذا ما اعتقده صديقى.

تيرى : إن هذا ما اعتقده أنا.

نادية : أجل، ولكنى لم أشعر بذلك لقد كنت هناك لوقت قصير فقط، ولكن شىء ما كُسِر.

تيرى : ماذا تقصدين ؟

نادية : لقد تملكنى شعورٌ – بأنه طالما بقيت مع فيليب، فلن أكون صادقة مع نفسى.

(تنظر تيرى إليها، وهى غير مقتنعة.)

تيرى : أجل، حسناً هناك فرق، أليس كذلك ؟

نادية : ما هو الفرق ؟

تيرى : كنت مع الرجل الخطأ.

نادية : إنى لا أعرف.

تيرى : وأنا كنت مع الرجل المناسب، إن هذا يصنع فرقاً.

نادية : أجل، أجل ، إنه بمجرد – قراءتى لمقالك الذى ربما بدأت أفهمه الآن تملكنى هذا الشعور الغير مريح أنك ربما تفعلين ما يسميه علماء النفس "إسقاط" تعاستك على الآخرين. إننا علينا أن نحارب هذا، إننا مضطرون لمحاربة مشاعرنا، فعلينا أن نحاول ونكون موضوعيين.

تيرى : أعتقد أننى أفعل. إننى لست غبية إلى هذا الحد.

نادية : لم أقل أبداً أنكِ غبية.

تيرى : أعرف أننا ننظر إلى شيئين مختلفين. الشيء الأول هو أن صديقى تركنى، وذهب إلى فتاة تبدو وكأنها تأكل غائط بملعقة قذرة – الشيء الثانى – إننى يائسة جداً من الاتجاه الذى أخذته حكومتى مؤخراً. أعتقد أننى أستطيع أن أفكر فى هذين الشيئين فى آن واحد.

نادية : نعم، بالطبع.

تيرى : دون الخلط بينهما !

نادية : إننى لا أقول أنك تخلطين بينهما، فكل ما أقول هو – انظرى !

(كلاهما قد رفع صوته.)

نادية : أعتقد أننى أشعر بهذا بحماس – من المهم جداً ألا تستسلمى بسهولة.

(ترفع نادية المقال مرة ثانية.)

نادية : إنكِ تقولين هنا "أن هناك حقيقة واحدة فقط، وهى أن الأقوياء يستغلون الضعفاء بدون تمييز" وتقولين "وبدون أى ضمير، فإن البلدان الغنية بحكم التعريف تهتم جداً بمصالحها، وأنها لم تحاول تقديم يد العون لأى بلد أخر، فمن ذا الذى سمع عن بلد" إنكِ تسألين "تخلت عن السلطة أو الثروة طواعية ؟ لم يتغير شيء أبداً باستثناء استخدام القوة المضادة، فالمنطق لا يسود أبداً".

(تلقى نادية المقال لأسفل.)

نادية : إنى أسأل فقط، كيف يمكنكِ كتابة هذا ؟

تيرى : لأننى عشت خلال الخمس سنوات الأخيرة. قرأت الصحف، وشاهدت التلفاز، وكان هذا ما رأيته بنفسى.

نادية : إن عمرك عشرون عاماً يا تيرى، ما الذى ترمين إليه ؟ أن كل شيء قائم على الأنانية، أليس كذلك ؟

تيرى : لا، ولكن لماذا الإدعاء ؟ لماذا نجادل فى أشياء لن تحدث ؟ لماذا نود أن يصبح العالم أكثر عقلانية ؟

نادية : لأنه ليس لدينا اختيار أخر.

(تصرخ نادية فى غضب بطريقة تفوق متطلبات الموقف، وعندما تدرك ذلك، فإنها تعبر الحجرة وتتحدث بهدوء أكثر.)

نادية : إن هذا ما يزعجنى، فاليأس إدعاء. إن هذا ما اعتقده، إنه انغماس فى الملذات.

تيرى : إننى لا أعتقد هذا، فالأمر أكثر من عدم خداع نفسك.

(تنظر نادية إليها، وحينئذٍ تمشى وتجلس على مكتبها.)

نادية : إننى لا أعرف. لابُد أن تفعلى ما تعتقدين أنه أفضل، من فضلك لا تفعلى هذا بدون تفكير إن كل ما أقوله هو كونى فقط حذرة، أجلى أى قرار.

تيرى : حسناً، سوف أفعل.

نادية : وفى أى سياق سواء فى دراساتك أو حياتك الخاصة. على أية حال ربما يعود إليكِ.

(يبتسمان.)

تيرى : أشكرك، هل هذا هو نهاية الدرس؟

نادية : أعتقد أنه.

تيرى : سوف أمهل نفسى أربعة وعشرون ساعة، وبعد ذلك أرى كيف أشعر.

نادية : حسناً، إن هذا معقول، إن هذا جيد.

(تقدم لها نادية المقال الغير مرتب.)

نادية : خذى هذا إنى لا أريده.

(تأخذه تيرى منها، وتتجه نحو الباب. تضغط نادية على مصباح مكتبها لتستعد للعمل بعد ذلك تنظر لأعلى.)

نادية : أوه، وبالمناسبة. يجب أن أخبرك، إذا قررتى أن تقضى وقتك حتى النهاية هنا فى بيل، إنى أسفه أننى لن أكون هنا لإنهاء الأمر معكى.

تيرى : هل ستدرسين فى مكان أخر ؟
نادية : لا.
(تنتظر تيرى.)
تيرى : هل ستخبريننى ؟
نادية : ليس لدى مانع من إخبارك.
(تنظر نادية إليها لحظة.)
نادية : اعتدت أن أكون مراسلة أثناء الحرب. مؤخراً لاحظت أننى افتقدت هذا. إننى سأعود للعراق.

Works Cited

Barnes, Clive. "A Shaw Thing in Hour Town." *The New York Post*. December 1, 2006. January 22, 2013. <http://nypost.com/2006/12/01/a-shaw-thing-in-hour-town/>.
Billington, Michael. " 'A Five-Course Meal after a Diet of Candyfloss' - Hare Hits Manhattan." *The Guardian*. December 1, 2006. March 28, 2012. <http://www.theguardian.com/stage/2006/dec/01/theatre.art>.

Billington, Michael. "The Vertical Hour Review – Timely Revival for David Hare's Iraq Inquiry." *The Guardian*. September 26, 2014. September 29, 2014. <http://www.theguardian.com/stage/2014/sep/26/the-vertical-hour-review-david-hare-iraq-peter-davison.>

Boon, Richard. "Introduction." *The Cambridge Companion to David Hare*. Ed. Richard Boon. Cambridge: Cambridge University Press, 2007.
Brantely, Ben. "Battle Zones in Hare Country." *The New York Times*. December 1, 2006. February 5, 20013. <http://www.nytimes.com/2006/12/01/theater/reviews/01hour.html?pagewanted=all>.
Bull, John. *New British Dramatists*. London: Macmillan Publishers LTD, 1984.
Donesky, Finaly. *David Hare: Moral and Historical Perspectives*. Westport: Greenwood Press, 1996.
Gussow, Mel. "Ideas and Ideals Populate the World of David Hare." *The New York Times*. 13 October, 1985. 15 December, 2012. <http://www.www.Nytimes.Com/.../stage-view-ideas-and-ideals-populate-the world of-david-hare.html>
Hare, David. "Interview: David Hare." Royal Court Theatre. *The Vertical Hour* Background Pack.2007. December 30, 2013.< file:///C:/Users/Dr.Awad/Downloads/TVHBackgoundPack.pdf.>
Hare, David. *The Vertical Hour*. New York: Faber and Faber, INC. 2006.

Heilpern, John. "Triumphant Broadway Debut: Bill Nighy's Time Has Come." *The New York Observer*. December 11, 2006. May 16, 2013. <http://observer.com/2006/12/triumphant-broadway-debut-bill-nighys-time-has-come/>.

Herrin, Jeremy. "Interview: Jeremy Herrin."The Royal Court Theatre*. The Vertical Hour* Background Pack.2007. December 30, 2013.<file:///C:/Users/Dr.Awad/Downloads/TVHBackgoundPack.pdf.>

Reinelt, Janelle. *After Brecht: British Epic Theatre.* Ann Arbor: The University of Michigan Press, 1997

Rooney, David. Rev. of *The Vertical Hour. Variety*. November 30, 2006. December 30, 2012. <http://variety.com/2006/legit/reviews/the-vertical-hour-1200511724/>.

Taylor, Paul ."*The Vertical Hour*, Royal Court, London: Haunting Display of the Pain of War." *The Independent*. October 23, 2011. December 30, 2013. http://www.independent.co.uk/arts-entertainment/theatre-dance/reviews/the-vertical-hour-royal-court-london-773036.html.